الفصل الأول

الإيمان بالملائكة والكتب وما يتعلق بها

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الإيمان بالملائكة.

المبحث الثاني : الإيمان بالكتب.

المبحث الثالث : الإيمان بوجود الجن والشياطين.

المبحث الأول

الإيمان بالملائكة

وجه تقديم مبحث الإيمان بالملائكة على ما يليه من المباحث هو :

ورود ذكر الإيمان بالملائكة في القرآن الكريم في عدة آيات بعد الإيمان بالله مقدمًا على بقية أركان الإيمان الأخرى، كما في سورة البقرة التي سبق ذكرها في توطئة الفصل .

قال الحافظ ابن حجر- رحمه الله -: " وقُدِّمَ الملائكة على الكتب والرسل نظرًا للترتيب الواقع، لأنه سبحانه وتعالى أرسل الملك بالكتاب إلى الرسول " [١]، فالملائكة "وسائط بين الله وبين الرسل في تبليغ الوحي والشرائع، فناسب أن يقدم الملائكة على الأنبياء"[٢].

وقد تناول سيد - رحمه الله- الحديث عن الملائكة من جوانب متعددة بيانها في المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف الملائكة وحكم الإيمان بهم.

المطلب الثاني : طبيعة الملائكة وخصائصهم .

المطلب الثالث :المنحرفون في تصورهم للملائكة .

المطلب الرابع : التفضيل بين الملائكة وصالحي البشر .

---

(١) فتح الباري ١/ ١٦١ .

(٢) المصدر السابق ١/ ١٦٢ .

المطلب الأول

تعريف الملائكة وحكم الإيمان بهم أثره

وفيه ثلاثة فروع :

الفرع الأول : تعريف الملائكة :

الملائكة في اللغة: جمع "مَلَك" ، وقد اختلف العلماء في أصل اشتقاقها، ورجح ابن حجر – رحمه الله – بأنها مشتقه من "المَلَكْ" وهو الأخذ بقوه [١] .

أما في الاصطلاح : فللناس في تعريف الملائكة أقوال كثيرة :

" فجمهور أهل الكلام من المسلمين على أنها : أجسام لطيفة أعطيت قدرة على التشكل بأشكال مختلفة ومسكنها السموات، وآخرون يرون أنها : الكواكب، أو الأنفس الخيرة التي فارقت أجسادها، ويزعم الفلاسفة : أن الملائكة جواهر روحانية، وغير ذلك من الأقوال "[٢] .

أما أهل السُّنَّة والجماعة فإنهم يقفون في الحديث عن حقيقة الملائكة والتعريف بهم عند ما دلت عليه النصوص الشرعية من الكتاب والسُّنَّة ، باعتبار حقيقة الملائكة من الغيب الذي ليس للناس علم به إلا في حدود ما جاء في تلك النصوص الشرعية .

تعريف الملائكة عند سيد قطب:يقول - رحمه الله -: " لقد تضمن التصور الإسلامي عن عالم الغيب، أن هناك خلقًا من عباد الله اسمهم الملائكة، وأخبرنا القرآن الكريم عن قدر من صفاتهم يكفي لهذا التصور ويكفي للتعامل معهم في حدوده، فهم

---

(١) فتح الباري لابن حجر : ٦/ ٤٥٠ .
(٢) فتح الباري ١/ ٢١ ، ٦/ ٣٠٦ .

خلق من خلق الله، يدين لله بالعبودية، وبالطاعة المطلقة، وهم قريبون من الله "[١].

" والمأثور أن الملائكة خَلْقٌ من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون"[٢] ويقول: " والملائكة خلق آخر من خلق الله لهم خصائصهم ووظائفهم،لا نعلم عنهم إلا ما أنبأنا الله من أمرهم"[٣] " فالملائكة خلق آخر غير الخلق الإنساني ، خلق طبيعة خاصة، ونحن لا علم لنا بهم إلا مما يقوله عنهم الذي خلقهم "[٤].

الفرع الثاني : حكم الإيمان بالملائكة .

يقول سيد رحمه الله- : " ومن العوالم المغيبة عالم الملائكة ، وقد جعل الإسلام الإيمان بها مقومًا من مقومات الإيمان ، لا يتم الإيمان إلا به ، الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره "[٥] .

ويقول أيضا : " وهناك عوالم أخرى من الأحياء - غير دواب الأرض التي تشمل الإنسان- وهي عوالم أخبرنا الله بوجودها، وليس لنا مصدر آخر للعلم بها إلا ما أخبرنا عنها، هي عالم الملائكة والجن، وقد وصف الله هذين الخلقين، وأخبرنا عن طبيعتهما، وعن علاقتهما بالإنسان، بالقدر الذي يهدي الإنسان منهج التعامل القويم مع كليهما، وجعل الإيمان بالملائكة قاعدة من قواعد الإيمان، لما للملائكة من علاقة بالوحي والرسالة ، .. وإنكار وجودهم هو إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة وتكذيب للقرآن، معناه الكفر طبعًا، وهو أمر عجيب !! إذ أنه لا يستند إلى شيء "[٦].

الفرع الثالث : أثر الإيمان بالملائكة في حياة البشر:

ذكر سيد - رحمه الله - في أكثر من موضع بعض آثار الإيمان بالملائكة في حياة الإنسان ومن ذلك :

" أن الإيمان بحقيقة الملائكة شأنه شأن الإيمان بالحقائق الغيبية المستيقنة التي

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٢ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٠٢٨ .
(٣) المصدر السابق ٣/ ١٢٦٥.
(٤) المصدر السابق ٢/ ١٠٤٢ بتصرف.
(٥) في ظلال القرآن : ٢/ ١٠٤٢، ٥/ ٢٨٨٢ .
(٦) مقومات التصور الإسلامي : ص ٣٦٥ بتصرف يسير .

جاءت من عند الله، يوسع آفاق الشعور الإنساني بالوجود ، فلا تنكمش صورة الكون في تصور المؤمن حتى تقتصر على ما تدركه حواسه - وهو ضئيل - .

كما أنه يؤنس قلبه بهذه الأرواح المؤمنة من حوله ، تشاركه إيمانه بربه ، وتستغفر له ، وتكون في عونه على الخير - بإذن الله - وهو شعور لطيف ندي مؤنس ولا شك، ثم هنالك المعرفة : المعرفة بهذه الحقيقة وهي في ذاتها فضل يمنحه الله للمؤمنين به وبملائكته "[١].

" استشعار أن من الملائكة من يحفظ على الإنسان عمله ويحصيه عن يمينه وشماله، من شأنه أن يجعل الإنسان يعيش في حذر دائم ويقظة لا تغفل عن المحاسبة، ويستحضر رقابة الله ، وتسجيل الملائكة وهو يهم بأي حركة أو كلمة، وأنها ستسجل في سجل حسابه الذي سيراه بين يدي الله ، فيحسب حسابها ، ويتأدب مع ربه ومع الملائكة الكرام حوله ، وقد حكي عن الإمام أحمد أنه كان في سكرات الموت يئن، فسمع أن الأنين يكتب ، فسكت حتى فاضت روحه -رضوان الله عليه - هذا نموذج لأولئك الرجال يتلقون هذه الحقيقة ويعيشون بها "[٢].

(١) في ظلال القرآن ١/ ٣٤٢ .
(٢) المصدر السابق ٦/ ٣٣٦٢ - ٣٣٦٣ بتصرف ، وينظر أيضًا : ٦/ ٣٨٥١ .

المطلب الثاني

طبيعة الملائكة وخصائصهم

أشار القرآن الكريم في عدة آيات إلى طبيعة الملائكة وخصائصهم وصفاتهم ، وقد ذكر سيد قطب في ظلال تلك الآيات هذه الخصائص والصفات ، وبيانها في الفروع الآتية

الفرع الأول : صفات الملائكة :

من صفات الملائكة التي أشار إليها سيد قطب ما يأتي :

١- " أنهم مخلوقون من نور "[١].

٢- " أنهم مجبولون على الطاعة والإيمان والتسليم المطلق لله سبحانه وتعالى "يدينون لله بالعبودية والطاعة المطلقة " و " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون " وهم " أهل طاعة مطلقة، فقد كانوا أولى الخلق بالطمأنينة، ولكنهم دائبون في تسبيح ربهم، لما يحسون من علوه وعظمته، ولما يخشون من التقصير في حمده وطاعته، ويشفقون على أهل الأرض المقصرين والمنحرفين من غضب الله، فيروحون يستغفرون لأهل الأرض مما يقع في الأرض من معصية وتقصير .. حتى من الذين آمنوا .. يستغفرون ربهم ويسبحون بحمده استشعارًا لعلوه ولعظمته، واستهوالا لأي معصية تقع في ملكه، واستدرارًا لمغفرته ورحمته .. "، " إنهم لا يعرفون إلا طريقًا واحدًا هو طريق الإيمان " .

" لا ينزغ في أنفسهم شيطان، فليس له من تركيب طبيعتهم مكان، ولا تستبد بهم نزوة، ولا تغلبهم شهوة " ، " وفطرتهم بريئة، لا تتصور إلا الخير المطلق، والسلام الشامل " ، " وهم عباد مكرمون، قريبون من الله "[٢] .

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٢٨ .

(٢) تنظر الفقرات في : في ظلال القرآن بالترتيب الآتي : ١/ ٣٧٨ ، ٢/ ١٠٤٢ ، ٣/ ١٢٦٥ ، ٥/ ٣٠٢٨ ، ٣٦٤١ ، ١٨٢١ ، ٣/ ١٤٢٨ ، ١/ ٥٦ ، ٢/ ١٠٤٢ .

أنهم ذو أجنحة من حيث تكوينهم الخلقي كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾[١].

يقول سيد :" وهو وصف لا يمثلهم للتصور، لأننا لا نعرف كيف هم، ولا كيف أجنحتهم هذه، ولا نملك إلا الوقوف عند هذا الوصف، دون تصور معين له، فكل تصور قد يخطئ ولم يرد إلينا وصف محدد للشكل والهيئة من طريق معتمد، والذي ورد في القرآن الكريم هو هذا، وهو قوله تعالى : ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٢] وهو كذلك لا يحدد شكلًا ولا هيئةً، والذي ورد في الأثر: " أن النبي -ﷺ- رأى جبريل في صورته مرتين " وفي رواية : " له ستمائة جناح "[٣]، وهو كذلك لا يعين شكلًا ولا هيئةً، فالأمر إذن مطلق، والعلم لله وحده في هذه الغيبيات .

وبمناسبة ذكر الأجنحة مثنى وثلاث ورباع حيث لا يعرف الإنسان إلا شكل الجناحين للطائر، يذكر أن الله : ﴿ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ﴾ فيقرر طلاقة المشيئة، وعدم تقيدها بشكل من أشكال الخلق، وفيما نشهده نحن ونعلمه أشكال لا تحصى من الخلق، ووراء ما نعلم أكثر وأكثر، " إن الله على كل شيء قدير" وهذا التعقيب أوسع من سابقه وأشمل، فلا تبقى وراءه صورة لا يتناولها مدلوله من صور الخلق والإنشاء والتغيير والتبديل "[٤].

أنهم لا يعلمون من الغيب إلا ما علمهم الله، ولا يملكون الشفاعة إلا بإذنه، ولهم مقام معلوم لا يتجاوزونه ، حيث ذكر الله في قصة آدم - عليه السلام - وحواره مع الملائكة وعرض الأسماء عليهم وإقرارهم بعجزهم وبحدود علمهم وهو ما علمهم: ﴿ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ﴾[٥] وهم يواجهون المشركين الذين عبدوهم في الدنيا أو يتخذونهم شفعاء، يواجهونهم يوم القيامة ويتبرؤون من

---

(١) سورة فاطر : الآية ١ .
(٢) سورة التحريم : الآية ٦ .
(٣) رواه : البخاري في التفسير باب قوله تعالى " فأوحى إلى عبده ما أوحى " ٤/ ١٨٤١ برقم ٤٥٧٦.
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٢١ .
(٥) سورة البقرة : الآية ٣٢ .

عبادة القوم لهم...فالملائكة لا يملكون للناس شيئًا، ولا يشفعون عند الله إلا لمن ارتضى"[١]. "ويقف كل منهم على درجة لا يتجاوز حده "[٢].

أن لهم القدرة على التمثل في صورة البشر ومخاطبتهم، كما جاء جبريل - عليه السلام - إلى مريم العذراء: ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾[٣]، وكما جاءت الملائكة إلى إبراهيم -عليه السلام - في صورة أضياف: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴾[٤]، وكما جاءت إلى لوط - عليه السلام -في صورة فتية صباح ملاح[٥]، وكما جاء جبريل - عليه السلام - إلى محمد- ﷺ- في صورة رجل يسأله عن الإسلام، وغير ذلك كثير[٦].

"فالملائكة خلق آخر غير الخلق الإنساني، خلق ذو طبيعة يعلمها الله، وهم كما يقول الله عنهم، ونحن لا علم لنا بهم إلا مما يقوله عنهم الذي خلقهم، لا يستطيعون أن يمشوا في الأرض بهيئتهم التي خلقهم الله عليها، لأنهم ليسوا من سكان هذا الكوكب، ولكن لهم - مع ذلك - من الخصائص ما يجعلهم يتخذون هيئة البشر حين يؤدون وظيفة من وظائفهم في حياة البشر "[٧].

أما عدد الملائكة فلا يعلمه إلا الله، يقول- سيد رحمه الله- : " ولكن قد يقربه إلى التصور ما جاء في حديث رسول الله - ﷺ - أنه قال : " إني أرى مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، أطَّت[٨] السماء وحق لها أن تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك واضع جبهته لله ساجدًا، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩١١ .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٣٠٠١ .
(٣) سورة مريم : الآية ١٧ .
(٤) سورة الذاريات : الآية ٢٤-٢٧ .
(٥) في ظلال القرآن ٥/ ٢٧٣٤ .
(٦) ينظر: المصدر السابق ٤/ ٢٣٠٥ - ٢٣٠٦ ،٥/ ٢٧٣٤ ، ٢٨٨٢ ، ٦/ ٣٣٨٢ .
(٧) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٢ .
(٨) أطَّت : الأطيط: صوت الاقتاب ، وأطيط الإبل : أصواتها وحنينها ، أي أن كثرة ما في السماء من الملائكة قد أثقلها حتى أطَّت ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٠٨ .

ولبكيتم كثيرًا، ولما تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى، لوددت أني شجرة تعضد "[١].

والسماء التي ليس فيها موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك، هي هذا الاتساع الهائل الذي لا يعرف له البشر حدودًا، والذي تبدو فيه شمس كشمسنا ذرة كالهباء الطائرة في الفضاء، فهل هذا يقرب شيئا للتصور البشري عن عدد الملائكة ؟! "[٢].

الفرع الثاني :وظائف الملائكة وأعمالهم :

" أخبرنا القرآن الكريم أن الملائكة لهم وظائف يكلفون بها من ربهم، فلا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فهم خلق من خلق الله، يدين لله بالعبودية، وبالطاعة المطلقة، قريبون من الله، مكرمون عنده ،قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[٣]، وقال سبحانه:﴿ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٤]، [٥].

وقد أشار سيد - رحمه الله- إلى عدد من وظائف الملائكة وأعمالهم في ظلال الآيات التي تتحدث عنهم ومن ذلك :

١- أنهم يحملون عرش الرحمن، ويحفون به يوم القيامة كذلك : "ولا ندري كيف؟ فليس لنا من علم إلا بقدر ما كشف الله لنا من هذا الغيب بقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[٦] وقوله : ﴿ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ

---

(١) رواه : الترمذي في الزهد باب قوله لو تعلمون ما أعلم ٤/ ٤٨٢ برقم ٢٣١٢، وأحمد ٥/ ١٧٣ وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٢/ ٥٢٩ .

(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٥٨٧- ٣٥٨٨ .

(٣) سورة الأنبياء : الآية ٢٦-٢٨ .

(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٩-٢٠ .

(٥) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٢ بتصرف يسير .

(٦) سورة غافر : الآية ٧ .

ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾[١]، وقوله : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴾[٢].

" فالملائكة على أرجاء السماء المنشقة أطرافها ، والعرش فوقهم يحمله ثمانية أملاك، أو ثمانية صفوف منهم، أو ثمانية طبقات من طبقاتهم، أو ثمانية مما يعلم الله، لا ندري نحن..." [٣].

٢- عبادة الله بالصلاة والتسبيح والذكر والدعاء . وقد أشار القرآن الكريم إلى أن حياة الملائكة كلها عباده يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾[٤].

يقول سيد : " فقوله ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ ﴾ المفهوم القريب أنهم الملائكة، وإن كان النص عام ، إلا أن المفهوم من التعبير أنهم هم الأقرب إلى الله، ﴿ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ أي : لا يقصرون في العبادة، فحياتهم كلها عبادة وتسبيح بالليل والنهار دون انقطاع ولا فتور" [٥].

وجاءت نصوص أخرى تخبر أنهم يصفون للصلاة، ويتلون التسبيح والذكر، ويسجدون ويركعون، منها :

- قوله تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾[٦]، " فالآية تخبر أن الأشياء تخضع لله بالسجود، ومعها الملائكة، في مقام خشوع وخضوع وعبادة وسجود، لا يستكبرون عن عبادة الله ولا يخالفون عن أمره" [٧].

-وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ

(١) سورة الزمر : الآية ٧٥ .
(٢) سورة الحاقة : الآية ١٧ .
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٢ ، وينظر أيضًا ٥/ ٣٠٦٣، ٣٠٧٠، ٦/ ٣٦٨٠.
(٤) سورة الأنبياء : الآية ١٩- ٢٠ .
(٥) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٧٢- ٢٣٧٣ بتصرف يسير .
(٦) سورة النحل : الآية ٤٩ - ٥٠ .
(٧) في ظلال القرآن ٤/ ٢١٧٤ .

يَسْجُدُونَ ﴾[١] " يضرب الله مثلًا بالذين عنده من الملائكة المقربين ، فهم دائمون على تسبيح الله وذكره ، لا يستكبرون عن عبادته ولا يقصرون ، وللإنسان أحوج منهم إلى الذكر والعبادة والتسبيح "[٢] .

- وقوله تعالى: ﴿ وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴾[٣] "وهي طوائف من الملائكة، ذكرها هنا بأعمالها التي يعلمها ، والتي يجوز أن تكون هي الصافات قوائمها في الصلاة ، أو أجنحتها في ارتقاب أمر الله ، والتاليات للذكر: القرآن أو غيره من كتب الله أو المسبحات بذكر الله "[٤]. فالملائكة " عباد من خلق الله، لهم وظائف في طاعة الله، فهم يصفون للصلاة ، ويسبحون بحمد الله "[٥] .

٣- وهم خزنة الجنة وخزنة النار: يستقبلون أهل الجنة بالسلام والدعاء، ويستقبلون أهل النار بالتأنيب والوعيد، قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٧١ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝٧٢ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾[٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾[٧] .

" فالملائكة خزنة النار يستقبلون أهل النار يسجلون استحقاقهم لها ويذكرونهم بأسباب مجيئهم إليها ، وملائكة النار ذو طبيعة غليظة شديدة تناسب طبيعة العذاب

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠٦ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٢٨ .
(٣) سورة الصافات : الآية ١ - ٣ .
(٤) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٨٢ .
(٥) المصدر السابق ٥/ ٣٠٠١ .
(٦) سورة الزمر : الآية ٧١-٧٣ .
(٧) سورة الرعد : الآية ٢٣ - ٢٤ .

الذي هم به موكلون: ﴿ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ ﴾ (١)، (٢).

" وخزنة الجنة يستقبلون أهلها استقبالًا طيبًا، بالثناء وبيان السبب ﴿ طِبْتُمْ ﴾ وتطهرتم، كنتم طيبين، وجئتم طيبين، فما يكون فيها إلا الطيب، ولهم الخلود في ذلك النعيم " (٣).

ومن أعمال الملائكة أيضا ما يتعلق بالتعامل مع أهل الأرض:

يقول سيد: " وهم يتعاملون مع أهل الأرض في صور شتى وذكر منها:

٤- حفظ العباد بأمر الله: "حيث جعل الله من الملائكة حفظةً على الإنسان " (٤) قال سبحانه: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً ﴾ (٥)، وقال: ﴿ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ ﴾ (٦).

وقال: ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴾ (٧)، " وهؤلاء الحافظون هم الأرواح الموكلة بالإنسان من الملائكة التي ترافقه، وتراقبه، وتحصي عليه كل ما يصدر عنه، ونحن لا ندري كيف يقع هذا كله، ولسنا بمكلفين أن نعرف كيفيته، ... فلا ضرورة للخوض فيما وراء النص، ويكفي أن يشعر القلب البشري أنه غير متروك سدى، وأن عليه حفظة كرامًا " (٨).

٥- تسجيل ما يصدر عن العباد: "حيث جعل الله ملائكة يتابعون العباد ويسجلون عليهم كل ما يصدر عنهم قال تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ (٩)" (١٠)، " أي رقيب حاضر، لا كما يتبادر إلى الأذهان أن اسمي الملكين رقيب، وعتيد! ونحن لا ندري كيف يسجلان، ولا داعي للتخيلات التي لا تقوم على أساس،

---

(١) سورة التحريم: الآية ٦.
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٦١٨، ٣٧٥٨.
(٣) المصدر السابق ٢/ ١٠٤٣، ٥/ ٣٠٦٢، ٦/ ٣٦١٨.
(٤) المصدر السابق ٣/ ١٢٧٣.
(٥) سورة الأنعام: الآية ٦١.
(٦) سورة الرعد: الآية ١١.
(٧) سورة الانفطار: الآية ١٠.
(٨) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٣، ١١٢٢، ٤/ ٢٠٤٨، ٦/ ٣٨٥١.
(٩) سورة ق: الآية ١٨.
(١٠) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٣.

فموقفنا بإزاء هذه الغيبيات أن نتلقاها كما هي، ونؤمن بمدلولها دون البحث في كيفيتها التي لا تفيدنا معرفتها في شيء ، فضلًا على أنها غير داخلة في حدود تجاربنا ولا معارفنا البشرية .

ولقد عرفنا نحن - في حدود علمنا البشري الظاهر- وسائل للتسجيل لم تكن تخطر لأجدادنا على بال، وهي تسجل الحركة والنبرة كالأشرطة الناطقة وأشرطة السينما والتليفزيون، وهذا كله في محيطنا نحن البشر، فلا داعي من باب أولى أن نقيد الملائكة بطريقة تسجيل معينة مستمدة من تصوراتنا البشرية المحدودة ، البعيدة نهائيًا عن ذلك العالم المجهول لنا ، والذي لا نعرف عنه إلا ما يخبرنا به الله، بلا زيادة ! .

وحسبنا أن نعيش في ظلال هذه الحقيقة المصورة ، وأن نستشعر ونحن نهم بأية حركة وبأية كلمة أن عن يميننا وعن شمالنا من يسجل علينا الكلمة والحركة ، لتكون في سجل حسابنا بين يدي الله الذي لا يضيع عنده فتيل ولا قطمير "[1].

ويشير سيد - رحمه الله- أيضًا في مواضع أخرى إلى أنه ربما يكون المقصود بالحفظة أيضًا هم الملائكة التي ترافق الإنسان وتراقبه ، وتحصي عليه كل ما يصدر عنه ، كما قال- سبحانه -﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾[2]، فوصف الحافظين بكونهم كرامًا ليستجيش في القلوب إحساس الخجل بحضرة هؤلاء الكرام ، فلا يليق أن يطلعوا منه إلا على كريم من الخصال والفعال ، عندما تشعر النفس أن عليها حفيظ ورقيب يحصي كل حركة وكل نأمة ، ويحفظ ما يصدر عنها لا يند عنه شيء "[3].

٦- تبليغ الوحي إلى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم : وجعل الله من الملائكة أيضًا من يبلغ الرسل وحيه، وقد أعلمنا الله - سبحانه - أن جبريل- عليه السلام- هو الذي يقوم بهذه الوظيفة، قال سبحانه وتعالى: ﴿ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن

(١) المصدر السابق ٦/ ٣٣٦٣ .
(٢) سورة الانفطار : الآية ١٠- ١٢.
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ١١٢٢، ٤/ ٢٠٤٩، ٦/ ٣٨٥١.

يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴾ (١) وقال سبحانه: ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ (٢)، ووصفه سبحانه بأنه ذو مرة "أي قوه"، وأن الرسول - ﷺ - رآه على هيئة الملائكة مرتين اثنتين، بينما جاءه في صور شتى في مرات الوحي التالية: قال سبحانه: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴾ (٣)، (٤) ووحي الله لرسله بواسطة الملك له عدة صور سيأتي بيانها -إن شاء الله -عند الحديث عن النبوة والوحي (٥).

٧- تثبيت المؤمنين، وإمدادهم في معركتهم مع الباطل، وقتال الكفار معهم:

فالملائكة " يتنزلون على المؤمنين بالتثبيت والمدد والتأييد في معركتهم الكبرى مع الباطل والطاغوت، قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ (٦)، وقال سبحانه ﴿ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ۝١٢٤ بَلَىٰٓ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ ۝١٢٥ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِۦ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ (٧).

قال سبحانه: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى

---

(١) سورة النحل :الآية ٢.
(٢) سورة البقرة:الآية ٩٧.
(٣) سورة النجم:الآية ١-١٥.
(٤) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٣، ٣/ ١٢٧٣، ، ٥/ ٣١٧٠، ٦/ ٣٤٠٦-٣٤٠٧.
(٥) ينظر أيضًا : في ظلال القرآن ٥/ ٣١٧٠.
(٦) سورة فصلت : الآية ٣٠.
(٧) سورة آل عمران : الآية ١٢٣-١٢٦.

فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[1]،[2] "فالله ينزل الملائكة على المجاهدين في سبيل الله ينصرونهم ويبشرونهم كذلك، ويسلطهم على الذين كفروا يقتلونهم "[3].

وذكر سيد -رحمه الله -أن هناك روايات كثيرة مفصلة عن الملائكة في يوم بدر، عددهم وطريقة مشاركتهم في المعركة، وما كانوا يقولونه للمؤمنين مثبتين،وما كانوا يقولونه للمشركين مخذلين ، وبيَّن أن طريقته في الظلال الاكتفاء في مثل هذا الشأن من عوالم الغيب بما يرد في النصوص المستيقنة من قرآن أو سنة - والنصوص القرآنية هنا فيها الكفاية: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾[4]، فهذا عددهم ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[5]، فهذا عملهم، ولا حاجة إلى التفصيل وراء هذا .. وحسبنا أن نعلم أن الله لم يترك العصبة المسلمة وحدها في ذلك اليوم وهي قلة والأعداء كثرة، وأن أمر هذه العصبة وأمر هذا الدين قد شارك فيها الملأ الأعلى مشاركة فعلية على النحو الذي يصفه الله - سبحانه - في كلماته .

قال البخاري -رحمه الله -: باب شهود الملائكة بدرًا ، وفيه : جاء جبريل إلى النبي -ﷺ- فقال : " ما تعدون أهل بدر فيكم ؟ قال : " من أفضل المسلمين " - أو كلمة نحوها - قال : " وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة "[6]،[7].

كما ذكر سيد بعض الأحاديث والآثار في تبرؤ الشيطان من المشركين يوم بدرٍ لما رأى جبريل يزع الملائكة ، وقوله: " إني أرى ما لا ترون "[8].

---

(١) سورة الأنفال : الآية ١٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٣ .
(٣) المصدر السابق ٣/ ١٢٧٣ .
(٤) سورة الأنفال :الآية ٩ .
(٥)سورة الأنفال :الآية ١٢ .
(٦) رواه : البخاري في المغازي باب شهود الملائكة بدرًا ٤/ ١٤٦٧ برقم ٣٧٧١ ، ٣٧٧٢.
(٧) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٨٣- ١٤٨٤ .
(٨) المصدر السابق ٣/ ١٥٣٠- ١٥٣١ .

ويشير سيد - رحمه الله- إلى أن أمر معية الله -سبحانه- للملائكة في المعركة، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة ، أمرٌ هائلٌ عظيمٌ ، لا يجوز أن يشغلنا عنه أن نبحث : كيف اشترك الملائكة ؟ ولا كم قتيلًا قتلت..؟ ولا كيف قتلت..؟ فنحن نؤمن بوجود خلق من خلق الله اسمهم الملائكة ، ولكنا لا ندرك من طبيعتهم إلا ما أخبرنا به خالقهم عنهم ، فلا نملك من إدراك الكيفية التي اشتركوا بها ، إلا بمقدار ما جاء في النص..وقد أوحى إليهم ربهم : أني معكم ، وأمرهم أن يثبتوا الذين آمنوا، ففعلوا - لأنهم يفعلون ما يؤمرون - ولكننا لا ندري كيف فعلوا، وأمرهم أن يضربوا فوق أعناق المشركين وأن يضربوا منهم كل بنان ، ففعلوا كذلك بكيفية لا نعلمها ..

إن البحث التفصيلي في كيفيات هذه الأفعال كلها ليس من الجد الذي هو طابع العقيدة والحركة ، ولكنه صار من مباحث الفرق الإسلامية وعلم الكلام في العصور المتأخرة ، عندما فرغ الناس من الاهتمامات الإيجابية في هذا الدين ، وتسلط الترف العقلي على النفوس والعقول .

إن وقفة أمام الدلالة الهائلة لمعية الله -سبحانه- للملائكة في المعركة ، واشتراك الملائكة فيها مع العصبة المسلمة ، لهي أنفع وأجدى "[1].

ويبين سيد - رحمه الله- خطأ الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - عندما قال: أنه ثبت أن الملائكة لم تشترك في المعركة يوم بدر إلا بمخالطة أرواح المؤمنين وتثبيتهم "[2] فهذا مخالف لظاهر النص ، والنص أولى بالإتباع "[3].

٨- الدعاء والاستغفار للمؤمنين والانشغال بأمرهم : والملائكة " مشغولون بأمر المؤمنين ، يسبحون ربهم ، ويستغفرون للذين آمنوا من ذنوبهم ، ويدعون ربهم لهم دعاء المحب المشفق المشغول بشأن من يحب قال سبحانه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١٤٨٥- ١٤٨٦ بتصرف يسير .
(٢) تفسير المنار ٩/ ٥٢٥ وما بعدها .
(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٣٤ هامش (١) .

كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [١]، [٢]. " فحملة العرش ومن حوله .. يذكرون المؤمنين من البشر عند ربهم ، ويستغفرون لهم ويستنجزون وعد الله إياهم ، بحكم رابطة الإيمان بينهم وبين المؤمنين ...

فهؤلاء المقربون يتوجهون بعد تسبيح الله ، إلى الدعاء للمؤمنين من الناس بخير ما يدعو به مؤمن لمؤمن.. الغفران والوقاية من العذاب ، إلى سؤال الجنة واستنجاز وعد الله لعباده الصالحين بدخول الجنة ، وصحبة من صلح من الآباء والأزواج والذريّات في الجنة ، ووقايتهم من السيئات التي توبق أصحابها في الآخرة ، فإذا وقاهم منها فقد وقاهم نتائجها وعواقبها " [٣].

٩- تبشير المؤمنين بما يسرهم : ولذلك عدة صور منها :

أ- تبشير المجاهدين بالنصر والغلبة .[٤]

ب- تبشير الأنبياء والصالحين بما يسرهم ومن ذلك :

١- بشارتهم لإبراهيم- عليه السلام -وزوجه، بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب [٥].

٢- بشارتهم لزكريا - عليه السلام - بيحيى - عليه السلام - [٦].

٣- بشارتهم لمريم بعيسى - عليه السلام - [٧].

٤- تبشيرهم للمؤمنين بولايتهم لهم في الدنيا والآخرة وبالجنة، كما قال سبحانه

---

(١) سورة غافر : الآية ٧- ٩ .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٠٤٣ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٣٠٧٠-٣٠٧١ بتصرف يسير ، ٥/ ٣١٤١ .
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٧٣ .
(٥) المصدر السابق ٤/ ١٩١٢ .
(٦) المصدر السابق ١/ ٣٩٤ .
(٧) المصدر السابق ١/ ٣٩٦ - ٣٩٧ .

وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴾[1].

" فالله يكلف الملائكة بالمؤمنين ، يفيضون على قلوبهم الأمن والطمأنينة ، ويبشرونهم بالجنة ، ويتولونهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة "[2].

١٠- قبض أرواح العباد : أوكل الله - سبحانه - قبض أرواح العباد إلى ملك الموت وأعوانه وسماهم رسلًا ، فقال سبحانه: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[3]، وأخبرنا القرآن الكريم أن من أعمال الملائكة قبض أرواح العباد ، المؤمنين وغير المؤمنين ، وصَوَّر طريقة التوفي وقبض الروح لكلا الفريقين :

أ- **أما المؤمنون:** فأخبر - سبحانه - أن الملائكة تبشرهم بالجنة عند قبض أرواحهم[4]، كما في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[5]

" ومشهد احتضار المؤمنين الطيبين ، مشهد هينٌ لينٌ كريمٌ ، نفوسهم طيبة بلقاء الله ، معافين من الكرب وعذاب الموت..، تسلم عليهم الملائكة طمأنة لقلوبهم ، وترحيبًا بقدومهم " ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون " تعجيلًا لهم بالبشرى، وهم على عتاب الآخرة، جزاء وفاقًا على ما كانوا يعملون "[6].

أما الكافرون الظالمون: فإن الملائكة تقبض أرواحهم في مشهد مفزعٍ مرعبٍ

---

(١) سورة فصلت : الآية ٣٠ - ٣٢ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٢٠ - ٣١٢١ وينظر أيضًا : ٣/ ١٠٤٤ .
(٣) سورة الأنعام : الآية ٦١ .
(٤) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٤ .
(٥) سورة النحل : الآية ٣٢ .
(٦) في ظلال القرآن ٤/ ٢١٦٩ .

مكروب مرهوب ، الظالمون في غمرات الموت وسكراته - ولفظ غمرات يلقي ظله المكروب - والملائكة يبسطون إليهم أيديهم بالعذاب، وهم يطلبون أرواحهم للخروج ، وهم يتابعونهم بالتأنيب : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (١) ، عذابٌ مهينٌ، وتأنيبٌ فاضحٌ، يضفي على المشهد ظلالاً مكروبة " (٢).

وأعظم من ذلك ما صوره القرآن الكريم لمشهد احتضار الكفار في قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴾ (٣) .

" فالملائكة تستل منهم أرواحهم في مشهد مهين ، يضيف المهانة والخزي ، إلى العذاب والموت، وهم يحتضرون وفي نهاية حياتهم على الأرض، ومستهل حياتهم الأخرى التي تفتتح بضرب الوجوه والأدبار لحظة الوفاة ، والضيق والكرب والمخافة " (٤).

ويختم سيد - رحمه الله- استعراضه لوظائف الملائكة وتعاملهم مع الخلق بقوله: " ولقد كان للملائكة شأن مع البشر منذ نشأة أبيهم آدم-عليه السلام- كما أن هذه الصلة امتدت في طول الحياة وعرضها ، حتى مجال الحياة الباقية على النحو الذي أشرنا إليه فيما سبق " (٥).

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩٣ .
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١١٤٩ بتصرف يسير .
(٣) سورة الأنفال : الآية ٥٠.
(٤) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٣٤، وينظر أيضًا : ٢/ ٧٤٤، ٣/ ١٢٧٣، ٥/ ٢٩٨٢، ٦/ ٣٢٩٨ .
(٥) المصدر السابق ٢/ ١٠٤٤.

المطلب الثالث

المنحرفون في تصورهم للملائكة وموقف سيد قطب منهم

تبين لنا فيما سبق التصور الصحيح الذي جاءت به النصوص الشرعية لعالم الملائكة ، والذي يتضمن الإيمان بوجود هذا العالم الغيبي حقيقة ، وبصفاته وخصائصه وطبيعته التي تحدث عنها النصوص ، والإيمان بالأعمال والوظائف التي يقومون بها بأمر الله - سبحانه - وعلاقتهم بالله وبالكون وبالبشر ، على نحو ما سبق ذكره من الفروع السابقة .

ومع ذلك يوجد من انحرف تصوره لحقيقة الملائكة ، وهو انحراف قديم جديد تعرض له القرآن الكريم بالبيان والنقد والتصحيح ، وقد وقف سيد قطب - رحمه الله- عند هذه القضية وبين منهج القرآن الكريم في تصحيح التصور عن الملائكة ويمكن بيان ذلك فيما يأتي :

١ - تصور المشركين في الجاهلية القديمة للملائكة :

ذكر سيد - رحمه الله- في ظلال الآيات التي تتحدث عن تصور المشركين للملائكة ، بأن " العرب في جاهليتهم يعرفون الملائكة وكانوا يطلبون أن ينزل الله على رسوله ملكًا يدعو معه ويصدقه ولكنهم لم يكونوا يعرفون طبيعة هذا الخلق التي لا يعلمها إلا الله ، وكانوا يخبطون في التيه بلا دليل في تصور هذا الخلق، وفي نوع علاقته بربه ، ونوع علاقته بالأرض وأهلها.. وقد حكى القرآن الكريم كثيرًا من ضلالات العرب وأساطير الوثنية حول الملائكة ، وصححها كلها لهم ليستقيم تصور من يهتدي بهذا الدين منهم ، وتصح معرفتهم لهذا الكون وما يعمره من خلائق .

وكان الإسلام - من هذا الجانب - منهجًا لتقويم العقل والشعور، كما كان منهجًا لتقويم القلب والضمير، ومنهجًا لتقويم الأوضاع والأحوال سواء .

وحكى القرآن الكريم من أضاليل العرب ومن جهالتهم في جاهليتهم ، أنهم

كانوا يظنون أن الملائكة بنات الله ! سبحانه وتعالى عما يصفون ! وأنهم - من ثم - لهم شفاعة عند الله لا ترد !.

والراجح : أن بعض كبار الأصنام كانت رموزًا للملائكة ! كما حكى قولهم هذا في طلبهم أن ينزل الله على رسوله ملكًا ليصدقه في دعواه .

وقد صحح القرآن للمشركين ضلالتهم الأولى وهي قولهم: إن الملائكة بنات الله وأن لهم شفاعة عنده في مواضع شتى،من ذلك ماجاء في سورة النجم : ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (١) ، (٢) .

وفي سورة الصافات : ﴿ فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَٰنَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ (٣) .

حيث يوجه القرآن الكريم الرسول -ﷺ- أن يناقش معهم تلك الأسطورة التي يزعمون فيها أن الملائكة بنات الله، والأسطورة الأخرى التي يزعمون فيها أن بينه- سبحانه- وبين الجنة نسبًا، إنه يحاصر أسطورتهم في كل مساربها ، ويحاجّهم بمنطقهم ومنطق بيئتهم التي يعيشون فيها ، وهم كانوا يؤثرون البنين على البنات،

---

(١) سورة النجم : الآية ١٩ - ٢٨ .

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤١ .

(٣) سورة الصافات : الآية ١٤٩ - ١٥٩ .

ويعدون ولادة الأنثى محنة ، ويعدون الأنثى مخلوقًا أقل رتبة من الذكر، ثم هم الذين يدَّعون أن الملائكة إناث ، وأنهم بنات الله .

فهو هنا يستطرد معهم وفق منطقهم ، ويأخذهم به ليروا مدى تهافت الأسطورة وسخفها حتى بمقاييسهم الشائعة...﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ أإذا كان الإناث أقل رتبة كما يدعون ،جعلوا لربهم البنات واستأثروا بالبنين؟! أو أختار الله البنات وترك لهم البنين ؟! إن هذا أو ذاك لا يستقيم ! فاسألهم عن هذا الزعم المتهافت السقيم و منشأ الأسطورة كلها ، من أين جاءهم علمٌ أن الملائكة إناث ؟ وهل هم شهدوا خلقهم فعرفوا جنسهم ؟ ... بل هم كاذبون حتى بحكم عُرْفِهم ومنطقهم .. وحكمهم لا يتفق مع منطقهم ، وليس لهم سند ولا دليل على هذا الحكم المزعوم،.. ولا على أسطورة أن بين الله وبين الجنة نسبًا وأن الملائكة ولدتهم له الجِنّة "[1].

وفي سورة سبأ يبطل القرآن الكريم ما كان عليه المشركون من عبادة الملائكة، من خلال الحديث عما سيكون يوم القيامة بين الملائكة وبين المشركين فيقول: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمْ ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾[2]، " فهاهم الملائكة الذين كانوا يعبدونهم..أو يتخذونهم عنده شفعاء، يواجهون بهم ، فيسبحون الله تنزيهًا له من هذا الادعاء ، ويتبرأون من عبادة القوم لهم ... وبالتالي فالملائكة لا يملكون للناس شيئا ، ولا الذين كفروا يملك بعضهم لبعض شيئا .. "[3]

- كما صحح القرآن الكريم للمشركين ضلالتهم الثانية في تصورهم لطبيعة الملائكة : وهي طلبهم أن ينزل الله على رسول الله ﷺ ملكا يدعو معه ويصدقه،

---

(١) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٠٠- ٣٠٠١ بتصرف يسير .

(٢) سورة سبأ : الآية ٤٠- ٤٢ .

(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩١١ بتصرف يسير .

فيقول- سبحانه - : ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾[1]، " فهو يخبر أن الملائكة حين ينزلون إلى الأرض على قوم كذبوا برسولهم ، إنما ينزلوا للتدمير عليهم وإهلاكهم ، ولو أن الله استجاب للمشركين فأنزل ملكا لقضي الأمر، وتم التدمير، ولم يُنظروا إلى مهلة بعد هذا التنزيل .. وهذا من رحمة الله بهم ..

ثم إن اقتراحهم إنزال ملك على الرسول -ﷺ- يصدقه في دعواه ، دليل على جهلهم بطبيعة الملائكة،.. فلو شاء الله أن يرسل ملكا يصدق رسوله ، لتبدى للناس في صورة رجل - لا في صورته الملائكية ، لأنهم لا يستطيعون أن يمشوا في الأرض بهيئتهم الملائكية ، لأنهم ليسوا من سكان هذا الكوكب، وعندئذ يلتبس عليهم الأمر مرة أخرى، فإذا كانوا يُلبِّسون على أنفسهم الحقيقة ، وهم يعرفون محمد -ﷺ- فكيف يكون اللبس إذا جاءهم ملك - في صورة رجل لا يعرفونه - يقول لهم: أنا ملك أرسلني الله لأصدق رسوله ، بينما هم يرونه رجلا كأي منهم ؟! إنهم يُلبِّسون الحقيقة البسيطة، فلو أرسل الله ملكا لجعله رجلا وللبس عليهم الحقيقة التي يلبسونها ، ولما اهتدوا قط إلى يقين " [2]. وقد صحح القرآن هذه الضلالة في مواضع أخرى [3] .

٢- تصور الملاحدة للملائكة :

الإلحاد هو : إنكار وجود الله تعالى ، ويترتب على هذا الإنكار إنكار كل ما يتعلق بالإيمان بالله من الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر ، وما جاء عن الله تعالى .

ويمثل الفلاسفة نموذجًا للملاحدة قديمًا، فتصورهم للإله تصور منحرف، حيث يرون أن الإله هو قانون العالم وهيكله، فهو ليس الإله الحق الذي جاء به الإسلام ، وبالتالي فتصورهم لبقية أركان الإيمان تصور منحرف بما في ذلك

(١) سورة الأنعام : الآية ٨- ٩ .
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤١- ١٠٤٢ بتصرف يسير .
(٣) ينظر : المصدر السابق ٤/ ٢١٢٧ .

تصورهم للملائكة ، حيث يرونها تخييلات من الأنبياء ، للتأثير على الجماهير [١].

ويمثل الملاحدة اليوم من يسمون " أهل العلمية الحديثة "، يقول سيد -رحمه الله: " والعرب في جاهليتهم -على كل ما في هذه الجاهلية من خطأ في التصور- كانوا " من هذا الجانب " أرقى من أهل الجاهلية " العلمية !" الحديثة ، الذين يسخرون من الغيب كله ! ويعدون الإيمان بمثل هذه العوالم الغيبية سذاجة غير علمية ! ويضعون "الغيبية " في كفة ، و " العلمية " في الكفة الأخرى !...

ونسأل : ماذا عند أدعياء العقلية "العلمية " من علمهم ذاته ، يحتم عليهم نفي هذا الخلق المسمى بالملائكة ، وإبعاده عن دائرة التصور والتصديق ؟ ماذا لديهم من علم يوجب عليهم ذلك .

إن علمهم لا يملك أن ينفي وجود حياة من نوع آخر غير الحياة المعروفة في الأرض في أجرام أخرى ، يختلف تركيب جوها وتختلف طبيعتها وظروفها عن جو الأرض وظروفها، فلماذا يجزمون بنفي هذه العوالم ، وهم لا يملكون دليلًا واحدًا على نفي وجودها .

إننا لا نحاكمهم إلى عقيدتنا ، ولا إلى قول الله- سبحانه- ! إنما نحاكمهم إلى " علمهم " الذي يتخذونه إلهًا.. فلا نجد إلا أن المكابرة وحدها - من غير أي دليل من هذا العلم - هي التي تقودهم إلى هذا الإنكار " غير العلمي " ! ألمجرد أن هذه العوالم غيب ؟ لقد نرى حين نناقش هذه القضية أن الغيب الذي ينكرونه هو الحقيقة الوحيدة التي يجزم هذا " العلم " اليوم بوجودها، حتى في عالم الشهادة الذي تلمسه الأيدي وتراه العيون " [٢]

٣- مدرسة الامام محمد عبده وتأويلها لعالم الملائكة :

أشار سيد- رحمه الله- إلى" أن من أخطاء مدرسة الإمام محمد عبده - رحمه الله

(١) ينظر: موقف سيد قطب من الفلاسفة في الباب الثاني -الفصل الأول- المبحث الثالث - من هذا البحث، ومقومات التصور الإسلامي: ص٥٣.

(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١٠٤٤-١٠٤٥.وينظر أيضًا : مناقشة سيد لمن ينكرون الغيبية، في ظلال القرآن ٢/١١١٣-١١٢١ ومقومات التصور الإسلامي : ص ٥١-٦١ حيث توسع- رحمه الله - في الرد عليهم.

- تأويلهم لعالم الملائكة والجن ، حيث يرون أنه لا يمكن أن يكون لهم وجود مجسم على هذا النحو، وأن تكون لهم حركات حسية وتأثيرات واقعية، ومن ثم يرون أن الملائكة تمثيل لقوة الخير والطاعة، والشياطين تمثيل لقوة الشر والمعصية، والرجوم تمثيل للحفظ والصيانة .. الخ "[١].

يقول سيد : " .. ولا نميل إلى المنهج الذي تتخذه مدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير من محاولة تأويل كل أمر غيبي من هذا القبيل تأويلًا معينًا ينفي الحركة الحسية عن هذه العوالم ... ثم نقل سيد - رحمه الله- كلام رشيد رضا، في أن مشاركة الملائكة في بدر كانت بإلهامهم للمؤمنين من خلال ملابستهم لأرواحهم الطيبة ما يثبتون به قلوبهم ويزيدهم ثقة بوعد الله بنصرهم . .

وقال : وهذا الميل الظاهر إلى تفسير أفعال الملائكة بأنها مجرد ملابسة لأرواح المؤمنين، وقد جزم في موضع آخر بأن الملائكة لم تقاتل يوم بدر على الرغم من قول الله تعالى : ﴿ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾... كل هذا مبالغة في تأويل هذه النصوص المتعلقة بأمور غيبية لا ضرورة لهذا التأويل ، لأنه ليس هناك ما يمنع من الدلالة الصريحة للألفاظ فيها، وكل ما ينبغي هو الوقوف وراء النصوص بلا تفصيلات لا تدل عليها دلالة صريحة ، وهو المنهج الذي اتخذناه فعلًا "[٢].

ثم أوضح سيد - رحمه الله - أن سبب هذا الخطأ عند أصحاب هذه المدرسة هو تأثرها بالنزعة العقلية بسبب الجمود الفكري الذي عاصرته والنزعة الخرافية ، ومحاولة الدفاع عن الإسلام ضد تهجمات المستشرقين ، ولكن ذلك وغيره أدى بها إلى الجموح بالعقل وتأويل كثير من الغيبيات .[٣]

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٠ .

(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٣١ - ١٥٣٢ ، ١٥٣٤ بتصرف يسير ، وينظر أيضًا : موقف سيد قطب من مدرسة الإمام محمد عبده ، في الباب الثاني من هذا البحث .

(٣) خصائص التصور الإسلامي : ص ١٨- ١٩ .

المطلب الرابع

التفضيل بين الملائكة وصالحي البشر

تعددت الأقوال حول تفضيل الملائكة على الأنبياء وصالحي البشر أو العكس :

١- فمنهم من يقول : " إن الملائكة أفضل من جميع البشر "[١].

٢- ومنهم من يقول : " إن الأنبياء وصالحي البشر أفضل "[٢] .

٣- ومنهم من يقول : " بالتوقف "[٣] .

٤- ومنهم من يقول: " بالتفصيل ، فشيخ الإسلام ابن تيمية : يرى أن الأنبياء والصالحين أفضل من الملائكة باعتبار كمال النهاية ، وذلك إنما يكون إذا دخلوا دار القرار، ونالوا الزلفى، وسكنوا الدرجات العلى، فلا يظهر فضلهم في ابتداء أحوالهم، وإنما يظهر فضلهم عند كمال أحوالهم ، بخلاف الملك الذي تشابه أول أمره وآخره"[٤].
ويرى آخرون : أن الأنبياء والرسل من البشر أفضل من رسل الملائكة ،ورسل الملائكة أفضل من صالحي البشر، وصالحوا البشر أفضل من عوام الملائكة. [٥]

ومن خلال استقراء كلام سيد قطب- رحمه الله- حول الموضوع نجد أنه يميل إلى تفضيل صالحي البشر على الملائكة ، ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ ﴾ [٦] يقول: " إنه التكريم في أعلى صوره لهذا المخلوق الذي يفسد في الأرض ويسفك الدماء ، ولكنه وهب من الأسرار ما يرفعه على الملائكة،

---

(١) وممن قال به: الزمخشري وجماعة ، وقد رد عليهم الحافظ ابن حجر في الفتح : ١٣/ ٣٨٦ - ٣٨٨ .
(٢) وهو قول بعض أهل السُّنَّة ، أما الشيعة فيرون أن الأئمة أفضل من جميع الملائكة ،ينظر: شرح العقيدة الطحاوية ص٤١٠، وفتح الباري : ١٣/ ٣٨٦ .
(٣) وهو مذهب أبي حنيفة ورجحه شارح الطحاوية ، انظر : شرح العقيدة الطحاوية : ص٤١١ ، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا ٧/ ٤٢٨ - ٤٢٩ ، ٥٨٩ ، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ١١٨ .
(٤) مجموع فتاوى ابن تيمية : ١٠/ ٣٠٠ ، ١١/ ٩٥، ٤/ ٣٥٠ - ٣٩٢ ، و لوامع الأنوار للسفاريني ٢/ ٣٩٩ .
(٥) ذكره القرطبي وأشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى ١/ ٢٩٨ ،والرازي ٢/ ٣٤ .
(٦) سورة البقرة : الآية ٣٤ .

ومنها سر المعرفة ، و سر الإرادة المستقلة التي تختار الطريق ، فازدواج طبيعته ، وقدرته على تحكيم إرادته في شق طريقه ، واضطلاعه بأمانة الهداية إلى الله بمحاولته الخاصة ، بعض أسرار تكريمه "[١].

" فالإنسان يملك أن يرتفع على مقام الملائكة بحفظ عهده مع ربه، عن طريق تحكيم إرادته ، وعدم الخضوع لشهواته ، والاستعلاء على الغواية التي توجه إليه ، وهذا مظهر من مظاهر التكريم ولا شك "[٢].

ويقول أيضًا : " إن الإنسان بازدواج طبيعته واستعداداته ، يتحرك في مجال بعيد الآماد مع نفسه ذاتها، إنه يعرج إلى السماوات العلى ويتجاوز مراتب الملائكة ، حين يخلص عبوديته لله ، ويترقى فيها إلى منتهاها، أو يهبط إلى مستوى البهيمة حين يتخلى عن خصائص إنسانيته، ويتمرغ في الوحل "[٣] .

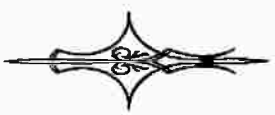

(١) في ظلال القرآن ١/ ٥٧ .

(٢) المصدر السابق ١/ ٦١ .

(٣) المصدر السابق ٣/ ١٢٧٣، ٥/ ٢٥٨١، ٦/ ٣٩٣٧، ٣٩٥٢، ومقومات التصور الإسلامي ص ٣٦٨، ٣٧٤.

المبحث الثاني

الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب التي أنزلها الله -عز وجل -على أنبيائه ورسله ركن من أركان الإيمان الستة، وقد دلت آيات كثيرة على أن الله -سبحانه وتعالى - أنزل كتبًا على بعض الأنبياء والمرسلين وأنها اليوم على قسمين :

القسم الأول : كتب ذات أصل سماوي، لكنها حرفت وبدلت كالتوراة والإنجيل، أو فقدت كالزبور، وصحف إبراهيم وموسى، والإيمان بهذا القسم من الكتب السماوية يعني : التصديق بأنها كلام الله، وأن ما تضمنته حق، قبل أن يصيبها ما أصابها، وأن الموجود منها اليوم ليس هو الذي أنزله الله " [1].

والقسم الثاني : ما سلم من التحريف والتبديل، وهو القرآن الكريم فقط، وبالتالي فالحديث عن الإيمان بالكتب يشمل جانبين :

الأول : الإيمان المجمل، بأن أصولها نزلت من عند الله على الرسل هداية للناس .

الثاني : المفصل وهو الإيمان بما أنزل علينا منها وهو القرآن الكريم، والعمل به وتحكيمه دون سواه

وقد قرر سيد قطب - رحمه الله - هذين المعنيين في مواضع متفرقة، ويمكن بيان منهجه في باب الإيمان بالكتب فيما يلي :

---

(١) فتح الباري لابن حجر: ١/ ١٧٢، ١/ ١١٧ ، وتفسير المنار ٥/ ٤٥٩ .

المطلب الأول

الإيمان العام بالكتب إجمالا

يقرر - سيد قطب - رحمه الله - في هذا الباب ما يأتي:

أولا: أن الإيمان بجنس الكتب السماوية من مقتضيات الإيمان بالله تعالى، وعنصر من عناصر الإيمان الشامل، قال سبحانه: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾[١]، وقال سبحانه: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾[٢].

وقد وقف سيد -رحمه الله- في ظلال هذه الآيات مقررًا حقيقة ترابط أركان الإيمان بما فيها الإيمان بالكتب فقال: " والإيمان بكتب الله ورسله بدون تفرقة بين أحد من رسله هو المقتضى الطبيعي الذي ينبثق من الإيمان بالله في الصورة التي يرسمها الإسلام، فالإيمان بالله يقتضي الاعتقاد بصحة كل ما جاء من عند الله، وصدق كل الرسل الذين يبعثهم الله، ووحدة الأصل الذي تقوم عليه رسالتهم وتتضمنه الكتب التي نزلت عليهم "[٣].

" فالإيمان بالكتاب والنبيين هو الإيمان بالرسالات جميعًا، وبالرسل أجمعين، وهو الإيمان بوحدة البشرية، ووحدة إلهها، ووحدة دينها، ووحدة منهجها الإلهي "[٤]، " وإنزال الكتب على الرسل من سنن الله "[٥]، والله تعالى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٥.
(٢) سورة البقرة: الآية ١٧٧.
(٣) في ظلال القرآن ١/ ٣٤٢.
(٤) المصدر السابق ١/ ١٥٩.
(٥) المصدر السابق ٢/ ١١٤٧ بتصرف يسير.

ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾[1].

" حيث بيَّن عناصر الإيمان الذي يجب أن يؤمن بها الذين آمنوا ، فهو إيمان بالله ورسوله، وهو إيمان بالكتاب الذي نزل على رسوله .. وهو إيمان بالكتاب الذي أنزل من قبل، بما أن مصدر الكتب كلها واحد هو الله، وأساسها واحد هو إسلام الوجه لله، وإفراده بالإلوهية - بكل خصائصها - وطاعة منهجه في الحياة، وهذه الوحدة هي المقتضى الطبيعي البديهي لكون هذه الكتب - قبل تحريفها - صادرة عن الله .. " فالإيمان بالكتاب كله - بوصف أنها كلها كتاب واحد في الحقيقة - هو السمة التي تنفرد بها هذه الأمة المسلمة عن غيرها "[2].

ثانيًا : أن الإيمان بالكتب يعني الإيمان بجهة صدورها، فالله وحده هو مصدرها، وهو من يملك حق تنزيل الشرائع، وفرض القوانين "[3]. " وبالتالي الإيمان بأن الكتب السماوية التي نزلت من الله- قبل تحريف ما حرف منها- متفقة في أصول العقيدة، أما الشرائع فقد جعل الله لكل أمة شرعةً ومنهاجًا "[4] خلافًا لما يقوله أصحاب مقارنة الأديان من الغربيين ومن تأثر بهم ممن تأثر بالثقافة الغربية التي تزعم أن أصول العقيدة - بما فيها العقائد السماوية- قد تطورت وترقت، بتطور الأقوام وترقيتها "[5].

ثالثًا : الإيمان بأن الله -تعالى-أنزل على بعض أنبيائه ورسله كتبًا ذكر الله بعضها في القرآن الكريم، يقول - سيد - : " فهؤلاء الرسل أنزل الله على بعضهم الكتاب كالتوراة مع موسى، والزبور مع داوود، والإنجيل مع عيسى .... والقرآن الكريم المنزل على - محمد ﷺ - "[6].

---

(١) سورة النساء :الآية ١٣٦.
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٧٧٧-٧٧٨ بتصرف .
(٣) المصدر السابق ٢/ ٩٠٢، ٥/ ٣١٥٠.
(٤) المصدر السابق ٢/ ١١٤٧، ٦/ ٣٤٩٤.
(٥) المصدر السابق ٢/ ١١٤٧-١١٤٨ بتصرف يسير .
(٦) المصدر السابق ٢/ ١١٤٧-١١٤٨ بتصرف يسير.

رابعًا : إن هذه الكتب نزلت على الرسل على قسمين :

أ- **خاصة** بالأقوام الذين نزلت عليهم ، كما هو الحال في التوراة التي أنزلت على بني إسرائيل، والإنجيل الذي جاء بعدها لبني إسرائيل أيضًا، وتبقى بعد موت الرسل في قومهم إلى حين، ككتب موسى وداود وعيسى - عليهم السلام - .

ب- **عامة** لقوم النبي الذي أنزلت عليه وتبقى إلى آخر الزمان كهذا القرآن "[١].

خامسًا : أن الأصل في الكتب التي أنزلها الله على رسله، أنها كتب هداية وإرشاد للأمم - قبل تحريفها - قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ﴾[٢]، " فالله أنزل التوراة لتكون هدى ونورًا للضمائر والقلوب بما فيها من عقيدة وعبادات وشريعة تحكم الحياة الواقعية وفق منهج الله، يحكم بها النبيون، للذين هادوا، فهي شريعتهم الخاصة نزلت في حدودهم هذه وبصفتهم هذه "[٣].

وقوله تعالى أيضًا ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾[٤]" فقد آتى الله عيسى بن مريم الإنجيل، ليكون منهج حياة وشريعة حكم، ولم يتضمن الإنجيل في ذاته تشريعًا، إلا تعديلات طفيفة في شريعة التوراة وقد جاء مصدقا لها ، وجعل الله فيه هدى ونورًا، وموعظةً للمتقين، وجعله خاصًا بأهل الإنجيل، فليس رسالة عامة للبشر، شأنه شأن التوراة وشأن كل كتاب وكل رسالة وكل رسول قبل هذا الدين الأخير"[٥].

سادسًا : الإيمان بما أخبر الله به في القرآن الكريم من أن الكتب السماوية قد حرفت وبدلت وغيرت بعد أنبيائها، ماعدا القرآن الكريم فهو محفوظ بحفظ الله -تعالى -

---

(١) المصدر السابق ٢/ ١١٤٤، ١١٤٦.
(٢) سورة المائدة : الآية ٤٤.
(٣) في ظلال القرآن ٢/ ٨٩٦.
(٤) سورة المائدة :الآية ٤٦.
(٥) في ظلال القرآن ٢/ ٩٠٠ بتصرف يسير.

بحيث أصبح هذا الأمر معلوما من الدين بالضرورة، فقد أخبر الله -تعالى- في أكثر من آية أن أهل الكتاب حرفوا وغيروا وبدلوا كتبهم، وانحرفوا عنها إلى أهوائهم وشهواتهم، وما يمليه عليهم أحبارهم ورهبانهم، ونذّد القرآن الكريم بفعلهم هذا والذي اتخذ عدة صور منها :

١ - **كتمان ما أنزل الله من الكتاب** قال سبحانه وتعالى:﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[١] وآيات كثيرة جدا تندّد بكتمان أهل الكتاب للحق الذي جاءت به كتبهم[٢].

" والتنديد بكتمان ما أنزل الله من الكتاب كان المقصود به أولًا أهل الكتاب، ولكن مدلول النص عام ينطبق على أهل كل ملة يكتمون الحق الذي يعلمونه، ويشترون به ثمنًا قليلًا "[٣].

" ومظهر آخر من مظاهر الكتمان وهو نبذ كتاب الله وراء ظهورهم، وكتمان ما تضمنته من البشرى بهذا النبي "[٤]، " حيث جعلوا الكتاب قراطيس أي في صحائف يتلاعبون بها، فيبدون للناس ما يتفق مع خطتهم في التضليل والخداع، والتلاعب بالأحكام والفرائض، ويخفون مالا يتفق مع خططهم من صحائف التوراة "[٥].

٢- عدم الالتزام بما جاء به كتابهم والانحراف عنه إلى غيره مما يضعه لهم البشر :

" لقد كان أهل الكتاب أولى الناس بإتباع الكتاب، وتحكيمه في حياتهم، وعدم

---

(١) سورة البقرة : الآية ١٧٤.
(٢) ينظر البقرة : الآيات ١٤٢ - ١٤٦ ، ١٥٩ ، آل عمران ٧١ ، ١٨٧ ، النساء ٣٧ .
(٣) في ظلال القرآن ١/ ١٥٧.
(٤) المصدر السابق ١/ ٩٤.
(٥) المصدر السابق ٢/ ١١٤٦.

اتباع الطاغوت - وهو كل شرع لم يأذن به الله - ولكنهم .. اتبعوا الباطل وما شرعه لهم الكهان والأحبار ولم يلتزموا بما أوتوه من كتاب "[١].

٣- تأويل نصوص الكتاب بما يوافق أهوائهم : وهذه هي الصورة الثالثة من صور تحريف أهل الكتاب لكتابهم ، ففي ظلال قوله تعالى: ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢] .

يقول سيد - رحمه الله-: " والآية تعرض نموذجا للمضلين، الذين يتخذون من كتاب الله مادة للتضليل، يلوون ألسنتهم به عن مواضعه ، ويؤولون نصوصه لتوافق أهواء معينة ، ويشترون بهذا كله ثمنًا قليلًا ومن بين ما يلوون ألسنتهم به ويحرفونه ويؤولونه ما يختص بمعتقداتهم التي ابتدعوها عن المسيح عيسى بن مريم ، مما اقتضته أهواء الكنيسة وأهواء الحكام سواء ... وآفة رجال الدين حين يفسدون أن يصبحوا أداة طيعة لتزييف الحقائق باسم أنهم رجال الدين، وهذه الحال التي يذكرها القرآن الكريم عن هذا الفريق من أهل الكتاب ، نعرفها نحن جيدًا في زماننا هذا، فهم كانوا يؤولون نصوص كتابهم، ويلوونها ليًّا ليصلوا منها إلى مقررات معينة ، يزعمون أنها مدلول هذه النصوص ، وأنها تمثل ما أراده الله منها، بينما هذه المقررات تصادم حقيقة دين الله في أساسها، معتمدين على أن كثرة السامعين لا تستطيع التفرقة بين حقيقة الدين ومدلولات هذه النصوص الحقيقية، وبين تلك المقررات المفتعلة المكذوبة التي يُلجئون إليها النصوص إلجاءً ، وهي آفةٌ تبتلى بها كل أمة يرخص دين الله فيها على من ينتسبون إليه، فهذا النموذج من بني إسرائيل، كانوا يتلمسون الجمل ذات التعبير المجازي - في كتاب الله ويلوون بها ألسنتهم - أي في تأويلها واستخراج مدلولات منها هي لا تدل عليها، ليوهموا الدهماء أن هذه المدلولات المبتدعة هي من كتاب الله، ويقولون هذا ما قاله الله ، وهو -سبحانه- لم يقله "[٣].

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٦٨١ .بتصرف يسير.

(٢) سورة آل عمران : الآية ٧٨.

(٣) في ظلال القرآن ١/ ٤١٨-٤١٩ بتصرف يسير .

وعمومًا : " فقد أصبحت الديانات العظمى قبل الإسلام فريسة العابثين والمتلاعبين، ولعبة - المحرفين والمنافقين - حتى فقدت روحها وشكلها، فلو بعث أصحابها الأولون لم يعرفوها "[١].

" وإذا كان الأمر كما سبق بيانه من أن الكتب السماوية السابقة للقرآن قد حرفت وبدلت ، فلا يجوز بالتالي أن يستمد منها، ولا أن يتلقى عنها شيء من أمور الدين، فما كان حقًا فيها فقد احتوى عليه القرآن الكريم أو نسخه، وما كان باطلًا فلا يجوز أخذه بل ولا الالتفات إليه، لأن التلقي عن هذه الكتب المحرفة يعني الهزيمة الداخلية ابتداءً ، والتخلي عن دور القيادة المناط للأمة المسلمة، والشك في كفاية كتابها ومنهجها لقيادة الحياة، وهذا بذاته دبيب الكفر" [٢].

" ولذا كان رسول الله - ﷺ - يتشدد مع أصحابه - رضوان الله عليهم - في أمر التلقي في شأن العقيدة والمنهج عن أهل الكتاب، ومن ذلك ما جاء عن عمر رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، إني مررت بأخ يهودي من بني قريظة ، فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك ؟ قال : فتغير وجه رسول الله - ﷺ -... فقال عمر: رضيت بالله ربًا ، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ رسولًا ، قال فسري عن النبي- ﷺ- وقال: "والذي نفسي بيده لو أصبح فيكم موسى- عليه السلام- ثم اتبعتموه وتركتموني لضللتم، إنكم حظي من الأمم ،وأنا حظكم من النبيين "[٣]، وقال ﷺ : " لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، وإنكم إما أن تصدقوا بباطل، وإما أن تكذبوا بحق، وإنه والله لو كان موسى حيًا بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني"[٤]،هؤلاء هم أهل الكتاب، وهذا هو هدي رسول الله ﷺ في التلقي عنهم"[٥].

سابعًا : اعتقاد كفر من لم يؤمن بكتب الله جميعها أو بعضها: ففي ظلال قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى

(١) المصدر السابق ٦/ ٣١٤٩. والعبارة نقلها سيد عن أبي الحسن الندوي ، من كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ص ٢٢.

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٤٣٨.

(٣) رواه : أحمد ٣/ ٤٧١، قال الأرناؤوط في إسناده ضعف : انظر: المسند بتحقيق الأرناؤوط ٢٥/ ١٩٨.

(٤) رواه : ٣/ ٣٣٨ ، قال الأرناؤوط في إسناده ضعف ٢٢/ ٤٦٨ .

(٥) في ظلال القرآن ١/ ٤٣٩-٤٤٠ بتصرف .

﴿جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ﴾[١]، يقول سيد -رحمه الله -: " كان المشركون في معرض العناد واللجاج يقولون : إن الله لم يرسل رسولًا من البشر، ولم ينزل كتابًا يوحي به إلى بشر، بينما كان إلى جوارهم في الجزيرة أهل الكتاب من اليهود، ولم يكونوا ينكرون عليهم أنهم أهل كتاب، ولا أن الله أنزل التوراة على موسى - عليه السلام - إنما كان قولهم ذلك عنادًا ، ليكذبوا برسالة محمد -ﷺ- وهذا القول الذي كان يقوله مشركوا مكة في جاهليتهم، يقوله أمثالهم في كل زمان، ومنهم :

١- الذين يزعمون أن الأديان من صنع البشر، وأنها تطورت وترقت بتطور البشر وترقيهم، دون تفريق منهم بين الديانات الوثنية التي من صنع البشر، وبين الديانات التي جاء بها الرسل من عند الله ، وهي ثابتة على أصولها الأولى، جاء بها كل رسول،فتقبلتها فئة وعتت عنها فئة، ثم وقع الانحراف عنها والتحريف فيها.

٢- بعض الفلاسفة في القديم والحديث، والذين يقولون : إن خالق هذا الكون الهائل لا يمكن أن يعني بالإنسان " الضئيل " في هذه الذرة الفلكية التي اسمها الأرض ! بحيث يرسل له الرسل ، أو ينزل على الرسل الكتب لهداية هذا المخلوق الصغير في هذا الكوكب الصغير.

٣- الماديون الملاحدة الذين يقولون : إنه ليس هناك من إله ولا من وحي ولا من رسل. . إنما هي أوهام الناس أو خداع بعضهم لبعض باسم الدين"[٢].

٤- ومثلهم من كذب بكتاب واحد من كتب الله التي أنزلها على رسله في أي زمان ومكان، كما قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[٣]، وهم كذبوا كتابًا واحدًا، ورسولا واحدًا، ولكنهم إنما يكذبون بهذا بكل ما جاء به الرسل، فهي عقيدة واحدة .. ومن ثم فهم كذبوا بكل رسالة وكل رسول"[٤].

---

(١) سورة الأنعام : الآية ٩١.
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ١١٤٥ بتصرف يسير.
(٣) سورة غافر: الآية ٧٠.
(٤) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٠٩٦.

المطلب الثاني

الإيمان بالقرآن الكريم

الذي يقرأ ما كتبه سيد قطب -رحمه الله- وخاصة في الظلال والمعالم والمقومات، يجد أنه يولي عناية خاصة بالقرآن الكريم، وقد سبق معنا - عند الحديث عن مصادر التلقي - بيان كلامه عن القرآن الكريم وبيانه لأهمية العيش في ظلال هذا الكتاب العظيم، والاستمداد منه، وأهميته في حياة الأمة المسلمة، والحكمة من تنزيله، كما أوضحنا منهجه -رحمه الله - وطريقته في فهم القرآن والانتفاع والحركة به في الحياة الواقعية، واعتباره المصدر الوحيد للعقيدة الإسلامية، باعتبار أن حديث رسول الله - ﷺ - ليس إلا أثرًا من آثار القرآن الكريم .

وعرضنا أيضًا كلامه -رحمه الله - حول أهمية حصر مصدر التلقي في القرآن الكريم، وأثر ذلك في حياة البشرية، والذي يتمثل في صلاحها، ووحدتها فكرًا وسلوكًا، وبعدًا عن الهوى والخرافة .[1]

كما بينا عند الحديث عن الصفات الإلهية وموقف سيد منها : أنه يقرر أن القرآن الكريم كلام الله ووحيه إلى نبيه- ﷺ - وينكر على المعتزلة قولهم بخلق القرآن [2].

ونضيف هنا ما يتعلق ببيان سيد - رحمه الله - لمكانة القرآن الكريم بين الكتب الإلهية، وما امتاز به عليها، وما اشتمل عليه من الخصائص ، وذلك كما يلي :

أولا: خصائص القرآن الكريم: أشار سيد إلى بعض خصائص القرآن الكريم ومنها:

١ - أنه ناسخ لما قبله ، ومهيمن عليه، ومصدق لما قبله من الحق:

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾[3]، يقول سيد :" إنها الرسالة التي جاءت تعرض

(١) ينظر: المطلب الأول من المبحث الأول - الفصل الثاني- الباب الثاني من هذا البحث .
(٢) ينظر: المرجع السابق .
(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

"الإسلام" في صورته النهائية الأخيرة، ليكون دين البشرية كلها، ولتكون شريعته هي شريعة الناس جميعًا، ولتهيمن على كل ما كان قبلها وتكون هي المرجع النهائي، ولتقيم منهج الله الحياة البشرية حتى يرث الله الأرض ومن عليها، فهذا الكتاب هو المرجع الأخير في منهج الحياة، وشرائع الناس ونظام حياتهم ومن ثم فكل اختلاف يجب أن يرد إلى هذا الكتاب ليفصل فيه، سواء كان هذا الاختلاف في التصور الاعتقادي بين أصحاب الديانات السماوية ، أو في الشريعة التي جاء هذا الكتاب بصورتها الأخيرة، أو كان هذا الاختلاف بين المسلمين أنفسهم "[١].

" فهو يصدّق ما بين يديه من الكتب التي نزلت من عند الله - في صورتها التي لم تحرف لا فيما حرفته المجامع وقالت : إنه من عند الله - هو يصدقها لأنها جاءت بالحق الذي جاء به في أصول العقيدة، أما الشرائع فقد جُعل لكل أمة شرعةٌ ومنهاجٌ، في حدود العقيدة الكبرى في الله "[٢].

* أما ما اختلف فيه أهل الكتب السابقة فإن القرآن يقص عليهم أكثر الذي هم فيه يختلفون كما قال سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾[٣]، **ومما قصه الله عليهم وفصل الخطاب فيه :**

١- اختلافهم في ماهية المسيح - عليه السلام - هل هو إنسان ؟ أم الله ؟ أم ابن الله ؟ أم أحد الأقانيم الثلاثة التي يتركب منها الإله بزعمهم، إلى آخر ما ثار في المجامع النصرانية وبين الفرق، فجاء القرآن الكريم يقول كلمة الفصل بين هؤلاء جميعا : قال عن المسيح إنه : كلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه، وإنه بشر وليس إله ..

٢- اختلافهم في مسالة صلب المسيح - عليه السلام - فجاء القرآن بالخبر اليقين فقال سبحانه : ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٩٠١-٩٠٢ .
(٢) المصدر السابق ٢/ ١١٤٧.
(٣) سورة النمل: الآية ٧٦ .

اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

٣- ومن قبل حرف اليهود التوراة، وعدلوا تشريعاتها الإلهية، فجاء القرآن الكريم يثبت الأصل الذي أنزله الله ﴿ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[2].

٤- " وحدثهم القرآن الكريم حديث الصدق عن تاريخهم وأنبيائهم، مجردًا من الأساطير الكثيرة التي اختلفت فيها رواياتهم، مطهرًا من الأقذار التي ألصقتها هذه الروايات بالأنبياء، والتي لم يكد نبي من أنبياء بني إسرائيل يخرج منها نظيفًا... فطهر القرآن صفحات هؤلاء الرسل مما لوثتهم به الأساطير الإسرائيلية التي أضافوها إلى التوراة المنزلة، كما صحح الأساطير عن عيسى بن مريم -عليه السلام- فهذا القرآن المهيمن على الكتب قبله، الذي يفصل في خلافات القوم فيها، ويحكم بينهم فيما اختلفوا فيه.. هو الحكم الفصل "[3].

٢- أنه محفوظ من التحريف والتبديل باقٍ إلى قيام الساعة:

فالقرآن الكريم يختلف عن الكتب السابقة، في أنها نزلت على أقوام معينين، وأسندت مهمة حفظها والقيام عليها على الأنبياء والأقوام التي نزلت عليهم، فبقت فتره من الزمن بعد أنبيائها، ثم دخلها التحريف والتبديل - كما سبق بيانه- أما القرآن الكريم، فإنه نزل للبشرية عامة إلى قيام الساعة، وتكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل حتى آخر الزمان، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾[4]، يقول سيد: " فهو باقٍ محفوظٌ لا يندثر ولا يتبدل،

---

(١) سورة النساء: الآية ١٥٦-١٥٧.
(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.
(٣) في ظلال القرآن ٥/ ٢٦٦٤-٢٦٦٥ بتصرف يسير.
(٤) سورة الحجر: الآية ٩.

ولا يلتبس بالباطل ولا يمسه التحريف، وهو يقود البشرية إلى الحق برعاية الله وحفظه، ... وننظر اليوم من وراء القرون إلى وعد الله الحق بحفظ هذا الذكر، فنرى فيه المعجزة الشاهدة بربانية هذا الكتاب، رغم تقلبات الأحوال والظروف والملابسات والعوامل على هذا الكتاب في خلال القرون السابقة، والتي ما كان يمكن أن تتركه مصونًا محفوظًا لا تتبدل فيه كلمة ، ولا تحرف فيه جملة ، لولا أن هنالك قدرة خارجة عن إرادة البشر، أكبر من الأحوال والظروف والملابسات والعوامل ، تحفظ هذا الكتاب من التغيير والتبديل ، وتصونه من العبث والتحريف.

وقد حاولت الفرق الكثيرة أن تدس في حديث النبي ﷺ وأن تؤول معاني النصوص القرآنية لتوافق أهواءها.. لكنها عجزت جميعًا أن تحدث حدثًا واحدًا في نصوص هذا الكتاب المحفوظ، وبقيت نصوصه كما أنزلها الله ، حجة باقية على كل محرِّفٍ وكل مؤوِّلٍ، وحجة باقية كذلك على ربانية هذا الذكر المحفوظ .

وحتى في زمن الضعف الذين يعيشه المسلمون اليوم ، والذي ضعفوا فيه عن حماية أنفسهم ، وعن حماية عقيدتهم ، و أرضهم ، و أعراضهم وأموالهم وأخلاقهم وعقولهم ، وتسلط عليهم أعداؤهم في كل جوانب الحياة ، إلا أن أعداء هذا الدين مع هذا كله لم يستطيعوا تبديل نصوص هذا الكتاب ولا تحريفها، ولم يكونوا في هذا من الزاهدين ، فلقد كانوا أحرص الناس على بلوغ هذا الهدف لو كان يبلغ ، وعلى نيل هذه الأمنية لو كانت تنال،لكنهم لم يقدروا على إحداث شيء في هذا الكتاب الذي لا حماية له من أهله المنتسبين إليه ، فدل على ربانيته وإعجازه "[1].

٣- أنه دستور شامل ومنهج كامل للحياة البشرية إلى قيام الساعة :

" أراد الله – تعالى- أن يكون هذا القرآن هو الرائد الحي للبشرية بعد وفاة الرسول ﷺ لقيادة أجيال هذه الأمة ، وتربيتها ، وإعدادها لدور القيادة الراشدة الذي وعدها به ، كلما اهتدت بهديه ... وهذا القرآن ليس مجرد كلام يتلى ، ولكنه دستور شامل ، دستور للتربية ، و للحياة العملية ، تضمن عرض تجارب البشرية من لدن آدم – عليه السلام – وقدمها زادًا للأمة المسلمة في جميع أجيالها "[2].

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢١٢٧- ٢١٢٩ بتصرف.
(٢) في ظلال القرآن ١/ ٢٦١ بتصرف.

" ولقد جاءت هذه الرسالة للبشرية حينما بلغت سن الرشد العقلي، جاءت كتابًا مفتوحًا للعقول في مقبل الأجيال ، شاملًا لأصول الحياة البشرية التي لا تتبدل ، مستعدًا لتلبية الحاجات المتجددة، التي يعلمها خالق البشر ، وهو أعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير،لقد وضع هذا الكتاب أصول المنهج الدائم لحياة إنسانية متجددة، وترك للبشرية أن تستنبط الأحكام الجزئية التي تحتاج إليها ارتباطات حياتها النامية المتجددة، واستنباط وسائل تنفيذها كذلك بحسب الظروف، دون اصطدام بأصول المنهج الدائم.. وقيمة هذا المنهج أنه متوازن متناسق، في كل تشريعاته وتكاليفه .."[١] .

٤- أنه معجزة الإسلام الخالدة :

" إن معجزة الإسلام هي القرآن، وهو كتاب يرسم منهجًا كاملًا للحياة، ويخاطب الفكر والقلب، ويلبي الفطرة القويمة، ويبقى مفتوحًا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلى يوم القيامة، أما الخارقة المادية فهي تخاطب جيلًا من الناس، وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل" [٢].

"ولقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة - ولم يشأ أن ينزل آية قاهرة مادية تلوي الأعناق وتخضعها وتضطرها للتسليم- ذلك أن هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة للأمم كلها ، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان ، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب"[٣]، وسيأتي بيان أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عند الحديث عن المعجزات في الفصل القادم - أن شاء الله - .

ثانيًا : بعض صفات القرآن الكريم :

أشار سيد -رحمه الله - إلى بعض صفات القرآن الكريم في مواضع متعددة ، ومنها :

١- أنه كتاب مبارك :قال تعالى:﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾[٤].

---

(١) المصدر السابق ٤/ ٢٤٠١ بتصرف ، وينظر ٤/ ٢٥٠٨ ، ٥/ ٢٥٨٤ .
(٢) المصدر السابق ٤/ ٢٢٣٧ .
(٣) المصدر السابق ٥/ ٢٥٨٥ .
(٤) سورة الأنعام : الآية ٩٢ .

يقول سيد - رحمه الله- : " إنها سُنَّة من سنن الله أن يرسل الرسل ، وأن ينزل الله عليهم الكتب ، وهذا الكتاب الجديد الذي ينكرون تنزيله ، هو كتاب مبارك ، وصدق الله ، فإنه والله مبارك.. مبارك بكل معاني البركة :-

* إنه مبارك في أصله ، باركه الله وهو ينزله من عنده .

* ومبارك في محله الذي علم الله أنه له أهل ، قلب محمد ﷺ الطاهر الكريم الكبير.

* ومبارك في حجمه ومحتواه ، فإن هو إلا صفحات قلائل بالنسبة لضخام الكتب التي يكتبها البشر، ولكنه يحوي من المدلولات والإيحاءات والمؤثرات والتوجيهات في كل فقرة منه ما لا تحتويه عشرات من هذه الكتب الضخام ، في أضعاف أضعاف حيزه وحجمه ! وإن الذي مارس فن القول عند نفسه وعند غيره من بني البشر، وعالج قضية التعبير بالألفاظ عن المدلولات ، ليدرك أكثر مما يدرك الذين لا يزاولون فن القول ولا يعالجون قضايا التعبير، أن هذا النسق القرآني مبارك من هذه الناحية ، وأن هنالك استحالة في أن يعبر البشر في مثل هذا الحيز - ولا في أضعاف أضعافه- عن كل ما يحمله التعبير القرآني من مدلولات ومفهومات وموحيات ومؤثرات .

* وإنه لمباركٌ في أثره ، وهو يخاطب الفطرة والكينونة البشرية بجملتها خطابًا مباشرًا عجيبًا لطيف المدخل ، ويواجهها من كل منفذ وكل درب وكل ركن ، فيفعل فيها ما لا يفعله قول قائل، ذلك أن به من الله سلطانًا ، وليس في قول القائلين من سلطان ! .

ولا نملك أن نمضي أكثر من هذا في تصوير بركة هذا الكتاب ، وما نحن ببالغين لو مضينا شيئًا أكثر من شهادة الله له بأنه " مبارك " ففيها فصل الخطاب! "[(١)].

٢- أنه نـور : قال - سبحانه -﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾[(٢)]، وقال: ﴿ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴾[(٣)] .

---

(١) في ظلال القرآن ٢/ ١١٤٧ وينظر أيضًا : ٢/ ١٢٣٧ .
(٢) سورة النساء : الآية ١٧٤.
(٣) سورة المائدة : الآية ١٥.

يقول سيد - رحمه الله- : ﴿ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴾ وصفان للشيء الواحد، لهذا الذي جاء به الرسول الكريم ، وليس أدق ولا أصدق ولا أدل على طبيعة هذا الكتاب - القرآن - وعلى طبيعة هذا المنهج - الإسلام - من أنه ﴿ نُورٌ ﴾ ، إنها حقيقة يجدها المؤمن في قلبه وفي كيانه، وفي حياته، وفي رؤيته وتقديره للأشياء والأحداث والأشخاص، يجدها بمجرد أن يجد حقيقة الإيمان في قلبه .

﴿ نُورٌ ﴾ نور تشرق به كينونته فتشف وتخف وترف، ويشرق به كل شيء أمامه فيتضح ويتكشف ويستقيم .

* ثقلة الطين في كيانه ، وظلمة التراب ، وكثافة اللحم والدم ، وعرامة الشهوة والنزوة، كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى، تخف الثقلة ، وتشرق الظلمة ، وترق الكثافة ، وترف العرامة .

* واللبس والغبش في الرؤية ، والتأرجح والتردد في الخطوة ، والحيرة والشرود في الاتجاه والطريق البهيم الذي لا معالم فيه، كل أولئك يشرق ويضيء ويتجلى، يتضح الهدف ويستقيم الطريق إليه، وتستقيم النفس على الطريق .."[1] .

﴿ نُورٌ ﴾ تتجلى تحت أشعته الكاشفة حقائق الأشياء واضحة، ويبدو مفرق الطريق بين الحق والباطل محددًا مرسومًا، في داخل النفس وفي واقع الحياة سواءً، حيث تجد النفس من هذا النور ما ينير جوانبها أولا، فترى كل شيء فيها ومن حولها واضحًا، حيث يتلاشى الغبش وينكشف، وحيث تبدو الحقيقة بسيطة كالبديهية ، وحيث يعجب الإنسان من نفسه كيف كان لا يرى هذا الحق وهو بهذا الوضوح وبهذه البساطة ؟!

وحين يعيش الإنسان بروحه في الجو القرآني فترة، ويتلقى منه تصوراته وقيمه وموازينه ، يحس يسرًا وبساطةً ووضوحًا في رؤية الأمور، ويشعر أن مقررات كثيرة كانت قلقة في حسه قد راحت تأخذ أماكنها في هدوء، وتلتزم حقائقها في يسر، وتنفي ما علق بها من الزيادات المتطفلة، لتبدو في براءتها الفطرية ، ونصاعتها كما خرجت من يد الله .

(١) في ظلال القرآن ٢/ ٨٦٢.

ومهما قلت في هذا التعبير " وأنزلنا إليكم نورًا مبينًا " فإنني لن أصور بألفاظي حقيقته ، لمن لم يذق طعمه ولم يجده في نفسه ! ولا بد من المكابدة في مثل هذه المعاني! ولا بد من التذوق الذاتي ! ولا بد من التجربة المباشرة ! "[١].

٣- أنه هدى : قال سبحانه: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[٢]، " فالهدى حقيقته ، والهدى طبيعته والهدى كيانه ، والهدى ماهيته"[٣].

ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ ﴾[٤] ، " هكذا على وجه الإطلاق فيمن يهديهم وفيما يهديهم ، فيشمل الهدى أقوامًا وأجيالًا بلا حدود من زمان أو مكان، ويشمل ما يهديهم إليه كل منهج وكل طريق ، وكل خير يهتدي إليه البشر في كل زمان ومكان .

* يهدي للتي هي أقوم في عالم الضمير والشعور ، بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض ، والتي تطلق الروح من أثقال الوهم والخرافة، وتطلق الطاقات البشرية الصالحة للعمل والبناء ، وتربط بين نواميس الكون الطبيعية ونواميس الفطرة البشرية في تناسق واتساق.

* ويهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه ، وبين مشاعره وسلوكه ، وبين عقيدته وعمله ، فإذا هي كلها مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصم...

* ويهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكاليف والطاقة ، فلا تشق التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وتترخص حتى تشيع في النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال .

* ويهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفرادًا وأزواجًا ، وحكومات وشعوبًا، ودولًا وأجناسًا ، ويقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة

---

(١) المصدر السابق ٢/ ٨٢٢.
(٢) سورة البقرة: الآية ٢.
(٣) في ظلال القرآن ١/ ٣٨ ، وينظر ٥/ ٢٦٢٦.
(٤) سورة الإسراء: الآية ٩ .

الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى، ولا تميل مع المودة والشنآن، ولا تصرفها المصالح والأغراض ...

* يهديهم للتي هي أقوم في نظام الحكم، ونظام المال، ونظام الاجتماع، ونظام التعامل الدولي اللائق بعالم الإنسان "[١].

" فهو هدى يقي من الاختلاف والضلال، ويوحد المنهج، ويعين الطريق، ويصل بالسنن الكبرى التي لا تتخلف "[٢].

٤- أنه علي حكيم: قال سبحانه: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴾[٣]، وقال سبحانه: ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٤]، وقال سبحانه: ﴿ يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴾[٥]" .

فالله يُبيِّن القيمة الأصيلة الثابتة لهذا القرآن.. فهو " عليٌ ".." حكيمٌ ".. وهما صفتان تخلعان عليه ظل الحياة العاقلة، وإنه لكذلك ! وكأنما فيه روح، روح ذات سمات وخصائص.. وهو في علوه وفي حكمته يشرف على البشرية ويهديها ويقودها وفق طبيعته وخصائصه، وينشئ في مداركها وفي حياتها تلك القيم والتصورات والحقائق التي تنطبق عليها هاتان الصفتان : علي، حكيم[٦].

* فالقرآن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يخاطب كل أحدٍ بما يدخل في طوقه، ويضرب على الوتر الحساس في قلبه، ويخاطبه بقدر، ويخاطبه بالحكمة التي تصلحه وتوجهه .

* والقرآن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ يربي بحكمة، وفق منهج عقلي ونفسي مستقيم، ويقرر للحياة نظامًا كذلك يسمح بكل نشاط بشري في حدود ذلك المنهج الحكيم " [٧].

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٢١٥ بتصرف يسير .
(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٦٦٥، وينظر ٥/ ٢٧٨٣، ٢٨٠٦، ٣/ ١٤٢١.
(٣) سورة الزخرف : الآية ٣-٤ .
(٤) سورة لقمان : الآية ٢ .
(٥) سورة يس : الآية ١- ٢ .
(٦) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٧٦ ، وينظر أيضًا ٥/ ٢٧٨٣ .
(٧) المصدر السابق ٥/ ٣٩٥٨ .

* والقرآن ﴿ حَكِيمٌ ﴾ ينبه الغافلين إلى تدبر آيات الله في صفحة الكون وتضاعيفه ، في السماء والأرض .. وما فيهما .." (١)

٥- أنه برهان : " فهو برهان على المصدر الذي جاء منه ، وبرهان على إعجازه وبلاغته " (٢).

٦- أنه بلاغ وكفاية : قال سبحانه: ﴿ إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴾(٣) .

يقول سيد - رحمه الله- :"إن في هذا القرآن وما يكشفه من سنن في الكون والحياة، ومن مصائر الناس في الدنيا والآخرة ، ومن قواعد العمل والجزاء ، إن في هذا لبلاغًا وكفاية للمستعدين لاستقبال هدى الله " (٤).

٧- أنه مجيد وكريم وعظيم : قال سبحانه: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴾ (٥). وقال سبحانه : ﴿ إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ﴾ (٦)، وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾(٧).

* " والمجيد : الرفيع الكريم العريق بذاته، وهل أمجد وأعرق من قول الله العظيم" (٨).

* "والكريم : كريم بصدوره ، وكريم بذاته ، وكريم باتجاهاته، فليس كما يقولون قول كاهن ، ولا قول مجنون ، ولا مفترى على الله ، ولا تنزلت به الشياطين" (٩).

* " والعظيم : القائم على الحق ، المستمد من الحق الأكبر ، والمتصل بالحق الأكبر" (١٠) .

(١) المصدر السابق ٣/ ١٧٥٩ .
(٢) في ظلال القرآن ٢/ ٨٢٢ بتصرف يسير .
(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٦ .
(٤) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٠٠ .
(٥) سورة البروج : الآية ٢١ .
(٦) سورة الواقعة : الآية ٧٧ .
(٧) سورة الحجر : الآية ٨٧ .
(٨) في ظلال القرآن ٦/ ٣٨٧٦، ٣٣٥٧ .
(٩) المصدر السابق ٦/ ٣٤٧١ .
(١٠) المصدر السابق ٤/ ٢١٥٤ .

٨- أنه بشير ونذير : قال - سبحانه - ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[١]، فهو " يبشر المؤمنين العاملين ، وينذر المسيئين ، ويبين أسباب البشرى ، أسباب الإنذار ، بأسلوبه العربي المبين "[٢].

٩- أنه ميسر ومبين : قال- سبحانه وتعالى -: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٣].

" فالقرآن سهل التناول ، ميسر الإدراك ، فيه جاذبية ليُقْرَأ ويُتَدبْر ، فيه جاذبية الصدق والبساطة ، وموافقة الفطرة ، واستجاشة الطبع ، لا تنفد عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ، وكلما تدبره القلب عاد منه بزاد جديد ، وكلما صحبته النفس زادت له ألفةً وبه أنسًا"[٤].

وأما وصف المبين فقد جاء في كثير من الآيات القرآنية[٥] ، ولا أدق من وصف الله لكتابه في كتابه .

(١) سورة فصلت : الآية ٣- ٤ .
(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٣١٠٨ .
(٣) سورة القمر : الآيات ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٢٤٣١ .
(٥) ينظر الآيات : سورة المائدة : الآية ١٥ ، سورة يوسف : الآية ١ ، سورة الحجر : الآية ١ ، سورة الشعراء: الآية ٢ ، سورة النمل : الآية١ سورة القصص : الآية ٢ ، سورة يس : الآية ٦٩ ، سورة الزخرف : الآية ٢ ، سورة الدخان : الآية ٢ .

المبحث الثالث

الإيمان بوجود الجن والشياطين

ومناسبة إدخال مبحث الإيمان بوجود الجن والشياطين، في مباحث الإيمان بالنبوات هي :

أن الجن والشياطين ممن جاء ذكرهم في الوحي المنزل من الله تعالى، وممن أخبر النبي ﷺ عن وجودهم وعن بعض أوصافهم، فكان الإيمان بذلك من جملة الإيمان بالنبوات .

" ولم يخالف أحد من طوائف المسلمين في وجود الجن، ولا في أن الله أرسل محمدًا - ﷺ - إليهم وجمهور طوائف الكفار أيضًا من المشركين وأهل الكتاب مقرون بهم كإقرار المسلمين، ومع ذلك فقد وجد في الكفار وفي المسلمين من ينكر وجود الجن والشياطين، أو يجعل المراد بهم على خلاف ما دل عليه الوحي الإلهي، ومعلوم أن وجودهم مما تواترت به أخبار الأنبياء تواترًا معلوما بالاضطرار، وأنهم أحياء عقلاء، فاعلون بالإرادة، مأمورون منهيون، ليسوا صفات وأعراضًا قائمة بالإنسان أو غيره كما يزعم بعض الملاحدة " . (١)

وقد تكلم سيد قطب -رحمه الله - عن وجود الجن وبعض المسائل المتعلقة بهم، وردَّ على من ينكر وجودهم، وبيان ذلك في المطالب الآتية :

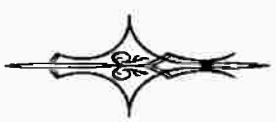

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميه ١٩/ ١٠ بتصرف يسير.

المطلب الأول

تعريف الجن والشياطين

أ- تعريف الجن : يعرف سيد قطب - رحمه الله - الجن فيقول:- " الجن كل ما خفي، وقد قررت النصوص القرآنية أن هناك خلقًا يسمون الجن خافيين علينا " [١].

ويقول : " والجن كل مستور لا يراه البشر، وهناك خلق سماهم الله الجن، لا نعرف من أمرهم شيئًا إلا ما ذكره الله عنهم .." [٢] ، "..والجنة الخافية .." [٣].

ب- تعريف الشياطين : يقول سيد قطب في تعريف الشيطان: ".. والشيطنة هي : التمرد والغواية والتمحض للشر، وهي صفه تلحق الإنس كما تلحق الجن، وكما أن الذي يتمرد من الجن ويتمحض للشر والغواية يسمى شيطانًا، فكذلك الذي يتمرد من الإنس ويتمحض للشر والغواية، وقد يوصف بهذه الصفة الحيوان أيضًا ، إذا شرس وتمرد واستشرى أذاه ! .

وقد ورد في الحديث : " الكلب الأسود شيطان " [٤] ... فالذي يتشيطن من الجن ويتمحض للشر والغواية - كإبليس وذريته - يسمى شيطانًا ، وكذلك الحال في الإنس " [٥].

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٣٩١.
(٢) المصدر السابق ٥/ ٢٨٩٨.
(٣) المصدر السابق ٦/ ٤٠١١ .
(٤) رواه: مسلم في كتاب الصلاة باب قدر ما يستر المصلي ١/ ٣٠٥ برقم ٥١٠ .
(٥) في ظلال القرآن ٣/ ١١٨٩ بتصرف يسير، وينظر ٦/ ٣٧٢٢ .

المطلب الثاني

إثبات وجود الجن والرد على من ينكر ذلك

أ- **إثبات وجود الجن والشياطين :** يقرر سيد – رحمه الله – في مواضع كثيرة حقيقية وجود الجن كعالم من عوالم الغيب، استنادًا إلى النصوص الكثيرة من الكتاب والسُّنَّة والتي تقرر وجود عوالم أخرى من الأحياء – غير دواب الأرض التي تشمل الإنسان – وهي عوالم أخبرنا الله بوجودها، وليس لنا من مصدر آخر للعلم بها إلا ما أخبر الله عنها، ومنها عالم الجن والشياطين ، ... وإخبار الله عن وجود الجن والشياطين يجعل الاعتقاد بوجود هذا الخلق على النحو الذي وصفه الله به ضرورة اعتقاديه، وإنكار وجودهم هو إنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، وتكذيب للقرآن، معناه الكفر طبعا، والجن والشياطين وإبليس، من عالم الغيب الذي أخبرنا الله به، فالتصديق بها ينشأ ابتداء من هذا الإخبار.. كما قرر أيضًا في مواضع أخرى: "أن النصوص القرآنية تقرر أن هناك خلقًا يسمون الجن، خافيين علينا، ومنهم الشياطين، لا نعرف عنهم إلا ما قصه الله علينا من أمرهم في القرآن، وما أخبرنا من صفاتهم، ونقف عند ذلك ولا نزيد "[1].

ب- **الرد على من ينكر وجود الجن والشياطين :** أما موقف سيد- رحمه الله – من المنكرين لوجود الجن أو الذين يتصورونهم على غير حقيقتهم، فقد بين- رحمه الله – في مواضع مختلفة أن الإيمان بوجود الجن من الإيمان بالغيب الذي أمر الله تعالى بالإيمان به، وأن وجود الجن من الحقائق المقررة شرعًا وعقلًا، وبالتالي فإنكار الجن مخالف للشرع، بل لما عليه أهل الملل الذين أجمعوا على وجودهم – إلا من شذ – وهو مخالف أيضًا للعقل الذي يقضي بأن إنكار الشيء لمجرد عدم رؤيته أو الإحساس به غير سديد، كما استعرض منهج القرآن في تصحيح التصور عنهم، وفيما يأتي بعض النصوص من كلام –سيد – في الرد على من ينكرون وجود الجن

---

(١) ينظر : في ظلال القرآن ١/ ٥٩، ٣/ ١١٨٩، ٤/ ٢٣٩١، ٥/ ٢٦٣٥، ٢٨٩٨، ٦/ ٣٢٧٠، ٣٦٣٤، ٣٧٢١ .

والشياطين أو يؤولون حقيقتهم أو يتصورونها على غير ما أخبر بها القرآن ومنها :

١- يقول في تقديمه لسورة الجن " ثم إنها- أي السورة- تصحيح لأوهام كثيرة عن عالم الجن في نفوس الناس، ووضع حقيقة هذا الخلق المغيب في موضعها بلا غلو ولا اعتساف، فقد كان العرب المخاطبون بهذا القرآن أول مرة يعتقدون أن للجن سلطانًا في الأرض ، فكان الواحد منهم إذا أمسى بواد أو قفر ، لجأ إلى الاستعاذة بعظيم الجن الحاكم لما نزل فيه من الأرض ، فقال : أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، ثم بات آمنًا! كذلك كانوا يعتقدون أن الجن تعلم الغيب وتخبر به الكهان فيتنبأون بما يتنبأون، وفيهم من عَبَد الجن، وجعل بينهم وبين الله نسبًا ، وزعم له -سبحانه وتعالى - زوجة منهم تلد له الملائكة ! .

والاعتقاد في الجن على هذا النحو أو شبهه كان فاشيًا في كل الجاهليات ، ولا تزال الأوهام والأساطير من هذا النوع تسود بيئات كثيرة إلى يومنا هذا !!!.

وبينما كانت الأوهام والأساطير تغمر قلوب الناس ومشاعرهم وتصوراتهم عن الجن في القديم ، وما تزال . . نجد في الصف الآخر اليوم منكرين لوجود الجن أصلًا ، يصفون أي حديث عن هذا الخلق المغيب بأنه حديث خرافة .

وبين الإغراق في الوهم ، والإغراق في الإنكار ، يقرر الإسلام حقيقة الجن ، ويصحح التصورات العامة عنهم ، ويحرر القلوب من خوفها وخضوعها لسلطانهم الموهوم .

* فالجن لهم حقيقة موجودة فعلًا، ولهم صفات جاء بعضها في سورة الجن بالإضافة إلى ما جاء عنهم في سورة الرحمن، ومواضع أخرى، بحيث تعطي صورة عن ذلك الخلق المغيب، تثبت وجوده، وتحدد الكثير من خصائصه، وفي الوقت ذاته تكشف الأوهام والأساطير العالقة بالأذهان عن ذلك الخلق، وتدع تصور المسلم عنه واضحًا دقيقًا متحررًا من الوهم ومن الخرافة، ومن التعسف في الإنكار الجامح كذلك !...

* أما الذين ينكرون وجود هذا الخلق إطلاقًا، فلا أدري علام يبنون هذا الإنكار، بصيغة الجزم والقطع، والسخرية من الاعتقاد بوجوده، وتسميته خرافة!.

* ألأنهم عرفوا كل ما في هذا الكون من خلائق فلم يجدوا الجن من بينها ؟! .

إن أحدًا من العلماء لا يزعم هذا حتى اليوم، وإن في هذه الأرض وحدها من الخلائق الحية لكثيرًا مما يكشف وجوده يومًا بعد يوم، ولم يقل أحد إن سلسلة الكشوف للأحياء في الأرض وقفت أو ستقف في يوم من الأيام ! .

* ألأنهم عرفوا كل القوى المكنونة في هذا الكون فلم يجدوا الجن من بينها ؟! .

إن أحدًا لا يدعي هذه الدعوى، فهناك قوى مكنونة تكشف كل يوم، وهي كانت مجهولة بالأمس، والعلماء جادون في التعرف إلى القوى الكونية، وهم يعلنون في تواضع قادتهم إليه كشوفهم العلمية ذاتها، أنهم يقفون على حافة المجهول في هذا الكون، وأنهم لم يكادوا يبدأون بعد !.

* ألأنهم رأوا كل القوى التي استخدموها، فلم يروا الجن من بينها ؟! .

ولا هذه فإنهم يتحدثون عن الكهرب بوصفه حقيقة علمية منذ توصلوا إلى تحطيم الذرة، ولكن أحدًا منهم لم ير الكهرب قط، وليس في معاملهم من الأجهزة ما يفرزون به كهربًا من هذه الكهارب التي يتحدثون عنها !.

ففيم إذن هذا الجزم بنفي وجود الجن ؟ ومعلومات البشر عن هذا الكون وقواه وسكانه من الضآلة بحيث لا تسمح لإنسان يحترم عقله أن يجزم بشيء ؟ .

* أَلأن هذا الخلق المسمى الجن تعلقت به خرافات شتى وأساطير كثيرة ؟ .

إن طريقنا في هذه الحالة هو إبطال هذه الخرافات والأساطير كما صنع القرآن الكريم، لا التبجح بنفي وجود هذا الخلق من الأساس، بلا حجة ولا دليل ! .

ومثل هذا الغيب ينبغي تلقي نبأه من المصدر الوحيد الموثوق بصحته، وعدم معارضة هذا المصدر بتصورات سابقة لم تستمد منه، فما يقوله هو كلمة الفصل في

مثل هذا الموضوع "[١].

٢- في تعليقه في سورة الأحقاف على حادثة صرف نفر من الجن ليستمعوا القرآن من النبي - ﷺ - ، يقرر - رحمه الله- أن ذكر القرآن لهذا الحادث، وحكاية ما قالوا وما فعلوا ، هذا وحده كافٍ بذاته لتقرير وجود الجن ووقوع الحادث ...

كما حاول أيضًا إيضاح حقيقة وجود الجن في التصور الإنساني، وبيَّن أن الكون حافل بالأسرار والقوى والخلائق المجهولة لنا كنهًا وصفةً وأثرًا..ونحن نعيش معها ونعرف عنها القليل، ونجهل الكثير، وفي كل يوم نتعرف وندرك بعضها بذواتها، أو بصفاتها، أو آثارها في الوجود.

وما عرفناه اليوم يعد بالقياس إلى معارف البشرية قبل خمسه قرون فقط عجائب أضخم من عجيبة الجن.. ولو قال قائل للناس قبل خمسة قرون عن شيء من أسرار الذرة التي نتحدث عنها اليوم لظنوه مجنونًا، أو لظنوه يتحدث عما هو أشد غرابةً من الجن قطعًا.. وسنعرف كثيرًا مما قد تعتبر أسرار الذرة بالقياس إليه لعبة أطفال!ولكننا سنظل في حدود الدائرة المرسومة للبشر بقوله سبحانه وتعالى:﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[٢] ...فليس لنا - والحالة هذه - أن نجزم بوجود شيء أو نفيه، وبتصوره أو عدم تصوره، من عالم الغيب المجهول ، ومن أسرار هذا الوجود وقواه، لمجرد أنه خارج عن مألوفنا العقلي أو تجاربنا المشهودة، ونحن لم ندرك بعد كل أسرار أجسامنا وأجهزتها وطاقاتها ، فضلًا على إدراك أسرار عقولنا وأرواحنا!.

فإذا كشف الله لنا عن القدر المقسوم لنا من هذه الأسرار والقوى ، عن طريق كلامه - لا عن طريق تجاربنا ومعارفنا الصادرة من طاقتنا الموهوبة لنا من لدنه أيضًا - فسبيلنا في هذه الحالة أن نتلقى هذه الهبة بالقبول والشكر والتسليم ، نتلقاها كما هي فلا نزيد عليها ولا ننقص منها، لأن المصدر الوحيد الذي نتلقى عنه مثل هذه المعرفة لم يمنحنا إلا هذا القدر بلا زيادة ، وليس هنالك مصدر آخر نتلقى عنه

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٢١ - ٣٧٢٣ بتصرف يسير ، وينظر أيضًا ٢/ ٧٦١ ، ٦/ ٣٧٢٨ .
(٢) سورة الإسراء : الآية ٨٥ .

مثل هذه الأسرار!" [١].

٣- ويقول أيضًا: " والجن كله غيب من غيب الله ، لا نعرف عنه إلا ما يخبرنا به مَنْ عنده مفاتح الغيب ،.. ومن ناحية مبدأ وجود خلائق أخرى في هذا الكون غير الإنسان وغير الأنواع والأجناس المعروفة في الأرض من الأحياء نقول: من ناحية المبدأ نحن نؤمن بقول الله عنها ، ونصدق بخبره في الحدود التي قررها .

- فأما أولئك الذين يتترسون " بالعلم " لينكروا ما يقرره الله في هذا الشأن ، فلا ندري علام يرتكنون ؟.

إن علمهم البشري لا يزعم أنه أحاط بكل أجناس الأحياء ، في هذا الكوكب الأرضي ! كما أن علمهم هذا لا " يعلم " ماذا في الأجرام الأخرى ! وكل ما يمكن أن " يفترضه " أن نوع الحياة الموجود في الأرض يمكن أولا يمكن أن يوجد في بعض الكواكب والنجوم.. وهذا لا يمكن أن ينفي - حتى لو تأكدت الفروض - أن أنواعًا أخرى من الحياة وأجناسًا أخرى من الأحياء يمكن أن تعمر جوانب أخرى في الكون لا يعلم هذا " العلم " عنها شيئًا ! فمن التحكم والتبجح أن ينفي أحد باسم " العلم " وجود هذه العوالم الحية الأخرى .." [٢].

- أما الذين يؤولون العوالم الغيبية تأويلًا ينفي عنها الحركة الحسيه فيقول سيد- رحمه الله - في تعليقه على قصة تزيين الشيطان للمشركين يوم بدر: " ولا نعلم الكيفية التي زين لهم بها أعمالهم، .. ذلك أن أمر الشيطان كله غيب، ولا سبيل لنا إلى الجزم بشيء في أمره إلا في حدود النص المسلم ، والنص هنا لا يذكر الكيفية إنما يثبت الحادث .

فإلى هنا ينتهي اجتهادنا، ولا نميل إلى المنهج الذي تتخذه مدرسة الشيخ محمد عبده في التفسير من محاولة تأويل كل أمر غيبي من هذا القبيل تأويلًا معينًا ينفي الحركة الحسية عن هذه العوالم، وذلك كقول الشيخ رشيد رضا في تفسير الآية " إن جند الشيطان الخبيث كانوا منبثين في المشركين يوسوسون لهم بملابستهم

---

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٧٠- ٣٢٧١ بتصرف .

(٢) المصدر السابق ٣/ ١١٨٩ بتصرف يسير ، ومقومات التصور الإسلامي ص ٣٦٥ .

لأرواحهم الخبيثة ما يغريهم ويغرهم، كما كان الملائكة منبئين في المؤمنين يلهمونهم بملابستهم لأرواحهم الطيبة ما يثبتون به قلوبهم، ويزيدهم ثقة بوعد الله بنصرهم ". [١]

وهذا الميل الظاهر إلى تفسير أفعال الملائكة بأنها مجرد ملابسة لأرواح المؤمنين، وتفسير فعل الشيطان بأنه مجرد ملابسة لأرواح المشركين، هو منهج تلك المدرسة بجملتها "[٢].

(١) تفسير المنار ٩/ ٥٢٩ وما بعدها.
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٥٣١ - ١٥٣٢ بتصرف.

المطلب الثالث

أصل الجن وبعض صفاتهم

تحدث سيد - رحمه الله- عن أصل الجن وطبيعتهم وأشار إلى بعض أوصافهم وخصائصهم ، أخذًا من الأدلة والنصوص الواردة في شأنهم ، ويمكن بيان ذلك كما يأتي :

أولًا : أصل الجن والشياطين :

يقول سيد : "الجن خلق من خلق الله الخافين علينا ، أخبرت النصوص الشرعية بأنهم خلقوا من مارج من نار ، أي لهيب متموج من النار "[١].

كما جاء في القرآن الكريم حكاية عن إبليس في الحديث عن آدم عليه الصلاة والسلام ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾[٢] ، وإبليس من الجن لقوله - سبحانه - : ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾[٣] ، فأصله من الجن "[٤] ، "والذي يتمرد من الجن يسمى شيطانًا كإبليس وذريته"[٥] .

ويقول : " و أما خلق الجان من مارج من نار، فمسألة خارجة عن حدود العلوم البشرية ، والمصدر الوحيد فيها هو هذا القرآن، خبر الله الصادق، الذي خلق وهو أعلم بمن خلق.. والمارج : المشتعل المتحرك كألسنة النار مع الرياح ! "[٦].

ويقول : " وما دام أن الجن ومنهم الشياطين خلقوا من نار، فإن إبليس إذًا ليس من الملائكة ، وإن جاء ذكره معهم في السياق كما في قوله -سبحانه -: ﴿ وَإِذْ

---

(١) المصدر السابق ٣/ ١١٨٩ ، ٥/ ٢٦٣٥ .
(٢) سورة الأعراف : الآية ١٢ .
(٣) سورة الكهف : الآية ٥٠ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٧١؟
(٥) المصدر السابق ٣/ ١١٨٩ ، ٦/ ٣٧٢٢ .
(٦) المصدر السابق ٦/ ٣٤٥١

قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1]، لأنه قد جاء في آية أخرى بيان أن إبليس من الجن وهي قوله - سبحانه- :﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴿٥٠﴾ ﴾[2].

" ويوحي السياق أن إبليس لم يكن من جنس الملائكة ، إنما كان معهم ، فلو كان منهم ما عصى، وصفتهم الأولى أنهم ﴿ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ والاستثناء هنا لا يدل على أنه من جنسهم ، فكونه معهم يجيز هذا الاستثناء، كما تقول: جاء بنو فلان إلا أحمد ، وليس منهم إنما هو من عشيرهم ، وإبليس من الجن بنص القرآن ، والله خلق الجان من مارج من نار،وهذا يقطع بأنه ليس من الملائكة "[3].

ومما سبق يتبين لنا أنه ليس هناك أي علاقة أو صلة نسب أو بنوة أو مصاهرة بين الجن وبين الله - سبحانه وتعالى -كما كان يزعم المشركون ، وذلك باعتراف الجن أنفسهم كما حكى الله عنهم بقولهم:﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾[4]، وبتنزيه الله - سبحانه وتعالى - لنفسه ، ورده على المشركين بقوله: ﴿ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴾[5] ، فالجنة تعلم أنها محضرة يوم القيامة بأذن الله ، وما هكذا تكون معاملة النسب والصهر ، لو كان ما يزعمونه حقًا، -سبحانه وتعالى عما يصفون - "[6].

ثانيا : بعض أوصاف الجن وخصائصهم :

تعرض سيد ـ رحمه الله ـ لبيان صفات الجن وخصائصهم في مواضع متعددة، ومنها :

١ - أن كيان الجن والشياطين غير مرئي للبشر : في حين أن كيان الإنس مرئي للجن، وبناءً على اختلاف أصل المادة التي خلق منها كيان الجن عن أصل المادة التي خلق

(١) سورة البقرة : الآية ٣٤ .
(٢) سورة الكهف : الآية ٥٠ .
(٣) في ظلال القرآن ١/ ٥٨ ، وينظر أيضًا ٣/ ١٢٦٥ ، ٥/ ٢٦٣٦، ٢٠٢٨ .
(٤) سورة الجن : الآية ٣ .
(٥) سورة الصافات : الآية ١٥٨ .
(٦) في ظلال القرآن ٥/ ٣٠٠١ ، ٦/ ٣٧٨٢١ .

منها كيان الإنسان، قال تعالى: ﴿ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴾ [١]، فالجن والشياطين يرون بني آدم، وبنو آدم لا يرونهم - في هيئتهم الأصلية - وكم من خلائق ترى الإنسان ولا يراها الإنسان.

قال- سبحانه وتعالى -عن إبليس - وهو من الجن - ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [٢] " [٣].

٢- أنهم مزودون بالقدرة على الحياة في الأرض: وفي باطن الأرض وفي خارج الأرض أيضًا، وأنهم يملكون الحركة في هذه المجالات بأسرع مما يملك البشر.

- أما قدرتهم على الحياة في هذا الكوكب الأرضي - لا ندري أين - لقوله تعالى لآدم وإبليس ﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [٤]، والجن الذين سخروا لسليمان - عليه السلام -كانوا يقومون له بأعمال في الأرض تقتضي أن يكونوا مزودين بالقدرة على الحياة فيها.

- وأما قدرتهم كذلك على الحياة خارج هذا الكوكب فلقوله تعالى حكاية عن الجن: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [٥]، [٦].

٣- أن لهم تجمعات تشبه تجمعات البشر في قبائل وأجناس: لقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴾ [٧]، فقد أهبط آدم - عليه السلام - وزوجه إلى الأرض، مع إبليس وقبيلة، هبطوا ليصارع بعضهم بعضا إلى نهاية الحياة" [٨].

٤- أنهم يأكلون ويشربون ويتناسلون: وقد أورد سيد- رحمه الله- الروايات المتعلقة

(١) سورة الرحمن: الآية ١٥.
(٢) سورة الأعراف: الآية ٢٧.
(٣) في ظلال القرآن ٣/ ١١٨٩، ٥/ ٢٦٣٥، ٦/ ٣٢٧١، ٣٧٢٢.
(٤) سورة الأعراف: الآية ٢٤.
(٥) سورة الجن: الآية ٨-٩.
(٦) في ظلال القرآن ٣/ ١١٨٩، ٦/ ٣٢٧١.
(٧) سورة الأعراف: الآية ٢٧.
(٨) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٧١.، وينظر ٣/ ١٢٧٠.

بحادثة اجتماع النبي- ﷺ - بالجن، وفيها قوله ﷺ : " أتاني داعي الجن، فذهبت معهم فقرأت عليهم القرآن " ، قال : فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . وسألوه الزاد، فقال " كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً، وكل بعرة أو روثة علف لدوابكم ، قال رسول الله ﷺ : " فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم "[1] .

أما تناسلهم فلقوله تعالى: ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ﴾[2].

٥- أنهم مكلفون في الدنيا، ومحشورون ومحاسبون ومجزيون بالجنة أو النار يوم القيامة:

- أما كونهم مكلفون فلقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[3].

يقول سيد : " فالآية تقرر أن هنالك غاية معينة لوجود الجن والإنس، تتمثل في وظيفة من قام بها وأداها فقد حقق غاية وجوده، ومن قصر فيها أو نكل عنها فقد أبطل غاية وجوده وأصبح بلا وظيفة ، وهذه الوظيفة التي تربط الجن والإنس بناموس الوجود هي العبادة لله، والعبودية له وأن مدلول العبادة أوسع وأشمل من مجرد إقامة الشعائر، فالجن والإنس لا يقضون حياتهم في إقامة الشعائر، والله لا يكلفهم هذا، وهو يكلفهم ألوانًا أخرى من النشاط تستغرق معظم حياتهم، وقد لا نعرف نحن ألوان النشاط التي يكلفها الجن، ولكننا نعرف حدود النشاط المطلوب من الإنس، وهي الخلافة في الأرض، وعمارتها "[4].

وإذا كانوا مكلفين فهم إذًا " قابلون بخلقتهم لتوقيع الجزاء عليهم، وتحقيق نتائج الإيمان والكفر فيهم:

﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾

(١) رواه : مسلم في الصلاة باب بالجهر بالقراءة في الصبح ١/ ٢٧٨ برقم ٤٥٠ ، والترمذي ٥/ ٣٥٧ برقم ٣٢٥٨.

(٢) سورة الكهف : الآية ٥٠ .

(٣) سورة الذاريات : الآية ٥٦ .

(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٣٨٦- ٣٣٨٧ .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (١)، (٢).

"كما تدل النصوص أيضًا على أن عالم الجن يحشر مع عالم الإنس ويحاسب ويجازى بالجنة أو بالنار كالجنس الإنساني" (٣)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِىٓ أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثْوَىٰكُمْ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَـٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ﴾ (٤)، وقوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴾ (٥)، وقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ (٦)، "وهذا يدل على أن الجن يعذبون بالنار، ومفهومه أنهم كذلك ينعمون بالجنة، هكذا يوحي النص القرآني، وهو الذي نستمد منه تصورنا، فليس لقائل بعد هذا أن يقول شيئًا يستند فيه إلى تصور غير قرآني، عن طبيعة الجن وطبيعة النار أو طبيعة الجنة، فسيكون ما قاله الله حقًا بلا جدال!" (٧).

٦ - **أنهم لا يعلمون الغيب وأن صلتهم بالسماء قد انقطعت بعد بعثته ﷺ**: "فالغيب موكول لله وحده، لا تعرفه الجن: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (٨). ولا تعرفه الرسل إلا ما يطلعهم الله عليه منه لحكمه يعلمها" (٩)،

(١) سورة الجن: الآية ١٣- ١٥
(٢) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٢١.
(٣) المصدر السابق ٣/ ١١٨٦.
(٤) سورة الأنعام: ١٢٨ -١٣٠.
(٥) سورة مريم: الآية ٦٨.
(٦) سورة الجن: الآية ١٥.
(٧) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٤ وينظر أيضًا: ٣/ ١٢٠٦ - ١٢٠٨، ٤/ ٢٣١٧.
(٨) سورة الجن: الآية ١٠.
(٩) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٢٣.

ومن النصوص في ذلك قوله تعالى في قصة موت سليمان - عليه السلام - : ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ [١] ، "فالآية تصور مشهد وفاة سليمان والجن ماضية تعمل بأمره فيما كلفها عمله، وهي لا تعلم نبأ موته ، حتى يدلهم على ذلك أكل الأرضة لعصاه التي كان مرتكزًا عليها وسقوطه.. وحينئذ فقط علمت الجن بموته، فدل هذا على أنهم لا يعلمون الغيب .. فهؤلاء هم الجن الذين يعبدهم بعض الناس، .. هم محجوبون عن الغيب القريب، وبعض الناس يطلب عندهم أسرار الغيب البعيد!" [٢].

- أما انقطاع صلة الشياطين بالسماء بعد بعثة النبي - ﷺ - فقد حكاها الله تعالى في سورة الجن بقوله عنهم: ﴿ وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴾ [٣] " فهي توحي بأنهم قبل هذه الرسالة الأخيرة، ربما في الفترة بينها وبين الرسالة التي قبلها وهي رسالة عيسى - عليه السلام - كانوا يحاولون الاتصال بالملأ الأعلى ، واستراق شيء مما يدور فيه بين الملائكة عن شؤون الخلائق في الأرض ، مما يكلفون قضاءه تنفيذا لمشيئة الله وقدره، ثم يوحون بما التقطوه لأوليائهم من الكهان والعرافين ، ليقوم هؤلاء بفتنة الناس وفق خطة إبليس ! على أيدي هؤلاء الكهان والعرافين الذين يستغلون القليل من الحق فيمزجونه بالكثير من الباطل ، ويروجونه بين جماهير الناس في الفترة بين الرسالتين ، وخلو الأرض من رسول ...

وهذا النفر من الجن يقول : إن استراق السمع لم يعد ممكنًا ، وإنهم حين حاولوه الآن وهو ما يعبرون عنه بلمس السماء وجدوا الطريق إليه محروسًا بحرس شديد، يرجمهم بالشهب ، فتنقض عليهم وتقتل من توجه إليه منهم ، ويعلنون أنهم لا يدرون شيئًا عن الغيب المقدر للبشر: ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ

---

(١) سورة سبأ : الآية ١٤ .

(٢) في ظلال القرآن ٥/ ٢٩٠٠ ، ٦/ ٣٧٢١ ، ٣٧٢٢ .

(٣) سورة الجن : الآية ٨- ٩ .

بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ ، فهذا الغيب موكول لعلم الله لا يعلمه سواه.. وإذا كان المصدر الذي يزعم الكهان أنهم يستقون منه معلوماتهم عن الغيب ، يقرر أنه هو لا يدري عن ذلك شيئًا ، فقد انقطع كل قول ، وبطل كل زعم ، وانتهى أمر الكهانة والعرافة ، وتمحض الغيب لله ، لا يجترئ أحد على القول بمعرفته ، ولا على التنبؤ به.

أما أين يقف ذلك الحرس ؟ ومن هو ؟ وكيف يرجم الشياطين بالشهب ؟ فهذا كله مما لم يفصله القرآن...ولا مجال للاعتراض أو الجدل حول الشهب ، فلا يمنع كونها تسير وفق نظام كوني ، قبل البعثة وبعدها من أن ترجم الشياطين بها ...

والقول بان هذا كله مجرد تمثيل وتصوير لحفظ الله للذكر من الالتباس بأي باطل، وأنه لا يؤخذ على ظاهره..ومن ثم يرون الشياطين تمثيلًا لقوة الشر والمعصية ، و الرجوم تمثيلًا للحفظ والصيانة...الخ، سببه محاكمة النصوص الشرعية إلى مقررات ذهنية سابقة مأخوذة من مصادر أخرى غير القرآن" [١].

والخلاصة: " أن السماء محفوظة من الشياطين، وهم مطرودون عنها، مردودون بالشهب كلما حاولوا استراق السمع، ولا داعي للخوض في قضايا الغيب بأكثر مما جاء في النصوص الشرعية " . [٢]

٧- أن طبيعتهم قابلة للإيمان والكفر ومستعدة للهدى والضلال ومنهم المؤمن والكافر :

يقول سيد: " فالجن خلق قابلون للإيمان وللكفر، مستعدون للهدى وللضلال، بدلالة قول النفر منهم في سورة الجن: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ ﴾[٣]، وبدليل ذهابهم إلى قومهم منذرين يدعونهم إلى الإيمان بعدما وجدوه في نفوسهم، وعلموا أن قومهم لم يجدوه بعد، وكذا حادثة صرف نفر من الجن ليستمعوا القرآن من النبي - ﷺ - وحكاية ما قالوا وما فعلوا -كما في سورة الأحقاف - مما يدل على أنهم قابلون للهداية من الضلال، مستعدون لإدراك القرآن سماعًا وفهمًا وتأثرا "[٤]، " وبناءً على قابليتهم للهدى والضلال، صاروا فريقين كالإنس، منهم الصالحون

(١) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٢٩- ٣٧٣٠ بتصرف يسير ، وينظر ٦/ ٣٦٣٤ .
(٢) المصدر السابق ٤/ ٢١٣٣ بتصرف يسير .
(٣) سورة الجن : الآية ١٤ .
(٤) في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٧٠- ٣٢٧١ ، ٣٧٢١ بتصرف يسير .

المؤمنون، ومنهم الشياطين المتمردين "[١].

"وقد قرر القرآن أن للجن طبيعة مزدوجة كطبيعة الإنسان في الاستعداد للهدى والضلال حيث جاء في حديث النفر من الجن – في سورة الجن – عن عقيدتهم في ربهم وقد آمنوا به، وعن ظنهم بعاقبة من يهتدي ومن يضل : ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّن نُّعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ ۖ فَمَن يُؤْمِن بِرَبِّهِ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَٰئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾[٢] " وهذا التقرير من الجن بأن منهم صالحين وغير صالحين، مسلمين وقاسطين، يفيد ازدواج طبيعة الجن، واستعدادهم للخير والشر كالإنسان إلا من تمحض للشر منهم وهو إبليس وقبيله وهو تقرير ذو أهمية بالغة في تصحيح تصورنا العام عن هذا الخلق، فأغلبنا حتى الدارسين الفاقهين على اعتقاد أن الجن يمثلون الشر، وقد خلصت طبيعتهم له، وأن الإنسان وحده بين الخلائق هو ذو الطبيعة المزدوجة، وهذا ناشئ من مقررات سابقة في تصوراتنا عن حقائق هذا الوجود كما أسلفنا، وقد آن أن نراجعها على مقررات القرآن الصحيحة!."[٣].

وقد جاءت نصوص في الكتاب والسُّنَّة تبين أن موقف الجن من النبي ﷺ ومن القرآن الكريم والإيمان هو نفسه موقف الإنس، حيث انقسموا إلى فريقين : مؤمنين وكافرين، كالذي ذكره الله في سورة الجن [٤] وفي سورة الأحقاف [٥] وكذا الروايات الواردة في لقاء النبي ﷺ بالجن واستماعهم له وغير ذلك [٦].

٨- أنهم يستطيعون أن يسمعوا صوت الإنسان، ويفهموا لغته : بدلالة استماع نفر من الجن للقرآن بلفظه العربي المنطوق كما يلفظه رسول الله – ﷺ – وفهمهم له وتأثرهم

---

(١) المصدر السابق : ٣/ ١١٨٩ ، ٦/ ٣٧٢١ .
(٢) سورة الجن : الآية ١١- ١٥ .
(٣) في ظلال القرآن ٦/ ٣٧٣٢ .
(٤) سورة الجن : الآية ١- ١٥ .
(٥) سورة الأحقاف : الآية ٢٩ – ٣٢ .
(٦) ينظر في ذلك : في ظلال القرآن ٦/ ٣٢٦٩- ٣٢٧٤، ٣٧٢١ – ٣٧٣٥ .

به وذهابهم إلى قومهم منذرين، وقد جاءت روايات كثيرة في استماع الجن لقراءة النبي ﷺ ولقائهم به وحوارهم معه [١].

٩- أنهم يملكون التأثير في إدراك البشر: ومأذون لهم في توجيه الضالين منهم -غير عباد الله- وهناك نصوص كثيرة منها قوله تعالى في حكايته حوار إبليس اللعين: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [٢] وغيرها من النصوص التي تبين أن الشياطين مسلطون على بني الإنسان يغوونهم ويضلونهم ، وهم قادرون على الوسوسة لهم ، بالإيحاء بطريقة لا نعلمها ، لأننا لا ندري كنه الشيطان حتى ندرك كيفيات أفعاله ، وكذا اتصاله بالإنسان وكيفية إغوائه ، ولكننا نعلم - بالخبر الصادق وهو وحده المصدر المعتمد عندنا عن هذا الغيب - أن إغواءً على البشر يقع في صورة من الصور، وإيحاءً بارتكاب المحظور يتم في هيئة من الهيئات ، وأن هذا الإيحاء وذلك الإغواء يعتمدان على نقط الضعف الفطرية في الإنسان" [٣].

ومع ذلك فالشياطين لا سلطان لهم على المؤمنين الذاكرين ، وأن الشيطان مع المؤمن إذا ذكر الله خنس وتوارى ، وإذا غفل برز فوسوس له ، وأن المؤمن أقوى بالذكر من كيد الشيطان الضعيف، فضعف الإنسان يمكن إنقاذه بالإيمان والذكر حتى ما يكون للشيطان سلطان على المؤمن الذاكر، وما يكون لكيده الضعيف حينئذ من تأثير " [٤].

١٠- أن منهم من سخره الله لبعض البشر : فقد أخبر الله - سبحانه - عن تسخير طائفة من الجن فقط وليس كلهم لسليمان -عليه السلام- يغوصون له ويبنون له المحاريب والتماثيل والجفان الكبيرة للطعام ، ويعملون عملاً دون ذلك ، وحفظهم فلا يهربون ولا يفسدون ولا يخرجون على طاعة عبده ، ومنهم الذين كانوا يظهرون في موكبه كما قال - سبحانه وتعالى - ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ

(١) في ظلال القرآن : ٦/ ٣٢٧٠- ٣٢٧٣ بتصرف يسير .
(٢) سورة ص : الآية ٨٢ - ٨٣ .
(٣) في ظلال القرآن : ٤/ ١٢٦٨ .
(٤) ينظر: المصدر السابق:٣/ ١١٨٩ ،٤/ ١٢٦٨، ٥/ ٢٦٣٥ ،٦/ ٣٢٧١ ، ومقومات التصور الإسلامي ص٣٦٥.

يُوزَعُونَ ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ﴾ (٢)، " فهذه الآيات تدل على أن من الجن من سخروا لبعض الإنس بإذن الله " (٣).

١١- أن الله جعل منهم أعداء للرسل يوالون أعداء الرسل من البشر: وكل ذلك بمشيئة الله لحكمة ، قال سبحانه : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ (٤).

يقول سيد - رحمه الله- : " يخلص لنا ابتداءً : أن الذين يقفون بالعداوة لكل نبي، ويقفون بالأذى لأتباع الأنبياء هم " شياطين " من الإنس ومن الجن، وأنهم يؤدون جميعًا وظيفة واحدة ! وأن بعضهم يخدع بعضًا ويضله كذلك ، مع قيامهم جميعًا بوظيفة التمرد والغواية وعداء أولياء الله .

ويخلص لنا ثانيًا : أن هؤلاء الشياطين لا يفعلون شيئًا من هذا كله ، ولا يقدرون على شيء من عداء الأنبياء وإيذاء أتباعهم بقدرة ذاتية ، إنما هم في قبضة الله ، وهو يبتلي بهم أولياءه لأمر يريده ، من تمحيص وتطهير لأوليائه .

ويخلص لنا ثالثا : أن حكمة الله الخالصة هي التي اقتضت أن يترك لشياطين الإنس والجن أن يتشيطنوا ، وأن يدعهم يؤذون أولياءه فترة من الزمان – ليبتلي أولياءه وينظر هل يصبرون ؟ ويثبتون على الحق الذي معهم أمام انتفاش الباطل ويخلصون من حظوظ أنفسهم في السراء والضراء سواء .

ويخلص لنا رابعًا : هوان الشياطين من الإنس والجن ، وهوان كيدهم وأذاهم ، فما يستطيلون بقوة ذاتية لهم، وما يملكون أن يتجاوزوا ما أذن الله به على أيديهم،

---

(١) سورة النمل : الآية ١٧ .
(٢) سورة سبأ : الآية ١٢- ١٣ .
(٣) ينظر : في ظلال القرآن ٣/ ٢٣٩١ ، ٤/ ٢٦٣٥، ٢٨٩٨ ، ٦/ ٣٧٢٢ .
(٤) سورة الأنعام : الآية ١١٢ .

والمؤمن الذي يعلم أن ربه هو الذي يقدر، وهو الذي يأذن، خليق أن يستهين بأعدائه من الشياطين؛ مهما تبلغ قوتهم الظاهرة وسلطانهم المدَّعى "[١].

١٢ - كون إبليس من المنظرين: وهذا يعني أن المعركة بينه وبين المؤمنين دائمة إلى قيام الساعة فإبليس لما أمر بالسجود لآدم - عليه السلام - فأبى وأستكبر حقت عليه اللعنة ، وطرد من الجنة ومن رحمة الله تعالى، وكتب عليه الصغار، وعندئذٍ لم ينس الخبيث أن آدم هو سبب الطرد والغضب ، فطلب من الله -تعالى- أن ينظره إلى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم النفخة الأولى التي يصعق فيها الخلائق كما في الروايات، فاستجاب الله لطلبه لحكمة أرادها - سبحانه - وعند ذلك أعلن الخبيث انه سيقعد لآدم وذريته على صراط الله المستقيم فيصد عنه كل من يهم باجتيازه ، ويحول بينه وبين الطاعات من كل الجهات ، إلا القليل الذي يفلت منه وهم " عباد الله المخلصين "[٢].

ومن هنا بدأت المعركة الخالدة ، وأُهبط آدم - عليه السلام -وزوجه ، مع الشيطان وقبيله إلى الأرض لتنتقل المعركة الخالدة إلى ميدانها الأصيل، وانطلقت من عقالها ما تهدأ لحظة وما تفتر "[٣]،" والشيطان في معركته مع الإنسان يستعمل كل وسائل الخداع والمكر والإيحاء والوسوسة والتخويف والإرهاب والتزيين[٤].

وتصور المسلم لطبيعة المعركة مع الشيطان وأتباعه ، ودوامها يشعر المؤمن بأمور :

الأول : أنه يخوض معركة واحدة صارمة ضاربة وإن تعدد أطراف الصراع فيها " الهوى - الشهوة - أولياء الطاغوت من البشر - الفساد والشر والانحلال الذي ينشئونه في الأرض "[٥].

والثاني : أن يعرف المؤمن حقيقة الشيطان وحزبه وضعفهم وهوانهم أمام قدرة الله ، فلا يرهبهم فهم أضعف من أن يخافهم مؤمن يركن إلى ربه ، ويستند إلى قوته،

---

(١) في ظلال القرآن ٣/ ١١٩٠ بتصرف يسير .
(٢) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٦٦ - ١٢٦٧ بتصرف
(٣) المصدر السابق ١/ ٥٨، ٦١ ، ٢/ ١٢٧٣ ، ٦/ ٤٠١١ .
(٤) المصدر السابق ١/ ٥٢١ ، ٣/ ١٢٧٤ - ١٢٧٥ ، ٥/ ٢٦٣٥ .
(٥) المصدر السابق ٣/ ١٢٧٥ بتصرف .

فإن الله هو المسيطر على الخلق كله وإن كان قد أذن لإبليس بالحرب ، فهو آخذ بناصيته ولم يسلطه إلا على من شرد عن ربه "[١].

والثالث : أن شعور الإنسان بأن الشيطان عدوه القديم وهو الذي ينصب له الشراك ، ويأمره بالموبقات يثير في نفسه -على الأقل- الحذر من الفخ الذي نصبه العدو ، فلا يغفل عن المعركة ولا يستسلم" [٢].

ثالثًا: هل كان في الجن رسل ؟

يقول سيد - رحمه الله- في ظلال قوله تعالى: ﴿ يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي ﴾ [٣] : " والخطاب موجه إلى الجن كما هو موجه إلى الإنس ، فهل أرسل الله إلى الجن رسلًا منهم كما أرسل إلى الإنس؟ الله وحده يعلم شأن هذا الخلق المغيب عن البشر، ولكن النص يمكن تأويله بأن الجن كانوا يسمعون ما أنزل على الرسل ، وينطلقون إلى قومهم منذرين به، كالذي رواه القرآن الكريم من أمر الجن في سورة الأحقاف: ﴿ وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٣٠ يَٰقَوۡمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ ﴾ [٤] فجائز أن يكون السؤال والجواب للجن مع الإنس قائمين على هذه القاعدة . . والأمر كله مما اختص الله سبحانه بعلمه والبحث فيما وراء هذا القدر لا طائل وراءه ! " . [٥]

رابعًا : المس والصرع " تلبس الجن بالإنس " :

الذي يظهر أن سيدًا- رحمه الله- يثبت قضية تلبس الجن بالإنس وهو ما يسمى المس أو الصرع وذلك من خلال كلامه في ظلال قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ

(١) المصدر السابق ١/ ٥٢١ ، ٦/ ٤٠١٢ بتصرف .
(٢) المصدر السابق ٢/ ٧٦١ بتصرف يسير .
(٣) سورة الأنعام : الآية ١٣٠ .
(٤) سورة الأحقاف : الآية ٢٩-٣١ .
(٥) في ظلال القرآن ٣/ ١٢٠٨- ١٢٠٩ .

ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾[١]، حيث يقول: " وما كان أي تهديد معنوي ليبلغ إلى الحس ما تبلغه هذه الصورة المجسمة الحية المتحركة ، صورة الممسوس المصروع ، وهي صورة معروفة معهودة للناس "[٢].

وعند حديثة عن المنكرين للغيبيات ومنها عالم الجن والشياطين والرد عليهم يقول: " والملائكة والجن والشياطين وإبليس من عالم الغيب الذي أخبرنا الله به ، ويجب التصديق به ، وإنكار المنكرين له إلام يستند ؟ هل إلى أن علم الناس بوسائلهم وأدواتهم لا يتمكن من رؤيتهم ؟ .. أم يستند إلى عدم استطاعة الإدراك البشري أن يتصور كيف يتعالم الإنسان مع هذين الخلقين ، وكيف يؤثران فيه وهما ليس من جنسه ؟ ولكن هل وصل هذا الإدراك إلى معرفة كيف يؤثر إنسان على إنسان في التنويم المغناطيسي ؟ والتخاطب عن بعد وهي حقيقة واقعة ؟ فلماذا يستبعد تأثير ملك أو شيطان في إنسان ؟ ألا إنه قول الله ، وهم هاربون من الله ؟! "[٣].

(١)سورة البقرة : الآية ١٧٥ .

(٢) في ظلال القرآن ١/ ٣٢٣- ٣٢٤ ، وخصائص التصور الإسلامي ص ٨٠ .

(٣) مقومات التصور الإسلامي ص ٣٦٥ بتصرف يسير .